

المحاضرة السادسة (06):

منجزات الحضارة الإسلامية [الجزء الأول]

- ٥٥ أهداف المحاضرة السادسة.
- ٥٥ أهم مراجع المحاضرة السادسة.
- ٥٥ الإنجازات ثمرة خصائص الحضارة الإسلامية.
 - أهداف ذكر هذه الإنجازات.
 - أنواع إنجازات الحضارة الإسلامية.
 - القيمة العلمية لإنجازات الحضارة الإسلامية.
 - صفات إنجازات الأمة الحضارية.
 - من إنجازات الحضارة الإسلامية في علم الهندسة الميكانيكية.
 - من إنجازات الحضارة الإسلامية الترجمة.
 - من إنجازات الحضارة الإسلامية المنهج التجريبي.
 - من إنجازات الحضارة الإسلامية: الوقف.
 - أ- المقاصد الشرعية العامة من الوقف.
 - ب- سبق المسلمين في مجال الوقف.
 - من إنجازات الحضارة الإسلامية: المكتبات العلمية.
 - أ- أنواع المكتبات في الحضارة الإسلامية:
 - ب- من أشهر المكتبات العلمية في التاريخ الإسلامي.
 - ج- كثرة عدد المكتبات في الحضارة الإسلامية.
 - د- أشهر المكتبات الغربية التي تحوي نفائس عربية.
 - هـ- مفارقات عجيبة بين المكتبات في الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية.
 - منجزات أخرى للحضارة الإسلامية.

أهداف المحاضرة السادسة:

- 1/- بيان أن منجزات الحضارة الإسلامية نتيجة الاستجابة لدعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- 2/ بيان أن منجزات الحضارة الإسلامية هي ثمرة خصائصها.
- 3/ بيان الأهداف من ذكر المنجزات.
- 4/ بيان أنواع هذه المنجزات، وقيمتها العلمية.
- 5/ من منجزات الحضارة الإسلامية في الطب.
- 6/ من منجزات الحضارة الإسلامية في الهندسة والميكانيكا.
- 7/ من منجزات الحضارة الإسلامية المنهج العلمي التجريبي.
- 8/ من منجزات الحضارة الإسلامية الوقف.
- 9/ من منجزات الحضارة الإسلامية المكتبات العلمية.
- 10/ نبذة عن منجزات أخرى للحضارة الإسلامية.
- 11/ ذكر ثلة من العلماء الذين أسهموا في منجزات الحضارة الإسلامية.

أهم مراجع المحاضرة السادسة:

- 1/ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.
- 2/ أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية. أحمد علي الملا. ط/2. 1404/1981. دار الفكر دمشق.
- 3/ أثر العرب والمسلمين في الحضارة والأوربية. فتحي علي يونس. ط/بدون. 1996. القاهرة. سلسلة الكتب الثقافية للراشدين. رقم: 27.
- 4/ الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس. ط/1. 1431هـ/2010م. الصحوة للنشر والتوزيع.
- 5/ الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم. رحيم كاظم الهاشمي. عواطف محمد العربي شنقارو. الدار المصرية اللبنانية القاهرة - المكتبة الجامعية غريان ليبيا. ط/بدون. تاريخ/بدون.

- 6/ الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة. شوقي أبو خليل ط/2. 1417هـ/1996م. دار الفكر بدمشق.
- 7/ القيم الحضارية في رسالة خير البشرية صلى الله عليه وسلم القيم العلمية. محمد بن عبد الله بن صالح السحيم. مجلة الدراسات الإسلامية. العدد الأول-المجلد الرابع والأربعون-الربيع (يناير-مارس 2009م/محرم ربيع الأول 1430هـ). مجمع البحوث الإسلامية- الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد. باكستان.
- 8/ المسلمون وعلوم الحضارة. محمد حبش. ط/1412هـ-1992م. دار المعرفة نشر-توزيع-طباعة-ترجمة. دمشق.
- 9/ المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية. ربحي مصطفى عليان. ط/1420هـ-1999م. دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان-الأردن.
- 10/ فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية. عز الدين فراج. ط/بدون. 1423هـ-2002م. دار الفكر العربي للطبع والنشر. القاهرة.
- 11/ المسيحية والحضارة العربية. جورج شحاتة قنواقي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط/بدون، تاريخ/بدون.
- 12/ أهم مظاهر الإسهامات التربوية للمكتبات في الحضارة الإسلامية خلال الدولة العباسية. زينب عابد سويلم اللهيبي. دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة في كلية التربية بجامعة أم القرى كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة. الفصل الدراسي الأول 1417هـ.
- 13/ أهم مظاهر الإسهامات التربوية للمكتبات في الدولة العباسية. دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية. حسان حلاق. ط/2. 1419هـ-1999م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.
- 14/ دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل. ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق.

- 16/ روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية. راغب السرجاني. ط/1. 2010م. نخضة مصر للطبعة والنشر والتوزيع.
- 17/ ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ط/2. 1430هـ-2009م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة.
- 18/ مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية. شحادة الناطور. أحمد عودات. جميل بيضون. ط/1. 1989م. دار الأمل للنشر والتوزيع. إربد.
- 19/ المقاصد الشرعية من الأوقاف الإسلامية (خصائصها وأصولها وقواعدها). حمزة حسن محمد الأمين. ضمن بحوث: المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية 1430هـ-2009م.
- 20/ المقاصد الشرعية للوقف الإسلامي تأصيلاً وتنزيلاً. نور الدين مختار الخادمي. ضمن بحوث: المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية 1430هـ-2009م.
- 21/ المقاصد الشرعية للوقف تنظيراً وتطبيقاً. محمد السيد الدسوقي. ضمن بحوث: المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية 1430هـ-2009م.

1- الإنجازات ثمة خصائص الحضارة الإسلامية.

بعدها وقفنا على أهم خصائص الحضارة الإسلامية، والتي دلت على أنها حضارة متميزة استحقت بجدارة أن تكون الحضارة المثلى التي لا يسع البشرية جمعاء اليوم إلا أن تستظل بظلها لتسعد كما سعدت البشرية عشرة قرون كاملة لما كانت الحضارة الإسلامية هي المهيمنة على العالم. وإن حضارة كهذه ليس بغريب أن تكون لها إنجازات عظيمة وعطاءات كثيرة ملأت سمع الدنيا وبصرها علما ومعرفة وثقافة وأخلاقا وعدلا ورحمة وسلاما وتسامحا وبناءات وعمرانا... وأعظم من ذلك أن الحضارة الإسلامية أنجزت لنا أعلاما من العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين واللغويين والأدباء والشعراء... والأطباء والصيدلة والفلكيين والرياضيين والجغرافيين... والحكام والوزراء والمستشارين الذين عرفوا بدهائهم وحنكتهم... كما أخرجت الحضارة الإسلامية عددا من أبطال المعارك وقادة الجيوش الذين خاضوا الفتوح وواجهوا المعارك بخطط حربية وترتيبات عسكرية هي محل دراسة وإعجاب عند الغرب إلى يومنا هذا.

ولست مبالغا إذا قلت: إن تسجيل هذه الإنجازات على وجه التفصيل يستغرق مجلدات، ونحن في هذه المذكرة لا يسعنا إلا أن نختصر البيان مع التركيز على أهم المنجزات.

2- أهداف ذكر هذه الإنجازات.

ليس المقصود من ذكر إنجازات الحضارة الإسلامية هو الوقوف على الأطلال، والبكاء على اللبن المسكوب... فهذا منهج مُنتَقَد كما بينا ذلك في مناهج دراسة مادة الحضارة الإسلامية؛ لأنه لا يترتب عليه شيء ذو أهمية.

وتتلخص أهداف ذكر إنجازات الحضارة الإسلامية:

1/ معرفة ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم وتفوق ليكون محل اعتزاز في أنفسنا، وذلك في الوقت الذي صار المسلمون لا يعرفون إلا التقدم الغربي والتفوق الأجنبي.

2/ الوقوف على عطاءات الحضارة الإسلامية وإسهاماتها في وهذا لنعرف فضلها وتأثيرها على الحضارات الأخرى، خاصة مع الخيانات العلمية التي تعرضت لها الحضارة الإسلامية حيث نُسبت علوم كثيرة إلى غير المسلمين كذبا وزورا وهي في حقيقة الأمر من إنتاج علماء الإسلام.

3/ معرفة أسباب ازدهار الحضارة الإسلامية، وأسباب تراجعها، حتى إذا أردنا نهضة جديدة وقيامه أخرى للحضارة الإسلامية عرفنا أسباب الازدهار فأخذنا بها، وعرفنا أسباب التراجع فعملنا على اجتنابها، ذلك لأن سنن الله تعالى في هذا الكون ثابتة ومن ذلك سنن الله تعالى في صعود الحضارات وفي نزولها، وقد قص الله علينا في القرآن الكريم من ذلك شيئا كثيرا، كما نهنا على هذا في موضعه سابقا.

4/ أن نحفظ إنجازاتنا الحضارية الموجودة ونوثقها، ونسعى لاسترجاع إنجازاتنا المفقودة ما أمكن، كالكتب المخطوطة التي اغتصبها الصليبيون إبان الحروب الصليبية، وسقوط الأندلس، واحتلال دول الإسلام والتي منها الجزائر.

5/ أسلمة العلوم والمعارف التي أصلها يرجع إلى المسلمين؛ لأننا صرنا نرى تجاهلا صريحا لجهود علماء الإسلام فلا يكادون يذكرون بعلم ولا بفضل في الدراسات الحديثة، وكأن العلم لم يكن شيئا مذكورا، وإنما بدأ مع النهضة الأوروبية ونشأ معها.

6/ تعزيز التواصل بين القراء المهتمين بتاريخ العلوم، وتولية أثر العلماء المسلمين في تقدم الحضارات في الجوانب العلمية، بالإضافة إلى توثيق شهادات العلماء غير المسلمين في إنصاف إنجازات المسلمين العلمية.

3/ أنواع إنجازات الحضارة الإسلامية.

إنجازات الحضارة الإسلامية لم تكن نوعا واحدا كالإنجازات في علم الطب مثلا، وإنما هي إنجازات متنوعة يمكن تقسيما باعتبارات منها:

1/ باعتبار أركان الحضارة.

هي نوعان: إنجازات ثقافية كالعلوم عموما سواء كانت علوم الشرع أو علوم الحياة. وإنجازات مدنية كالعمران من مساجد ومكتبات ومدارس وحصون وجسور.

2/ باعتبار أقسام العلوم.

هي نوعان: إنجازات في العلوم الشرعية كعلم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه ...، وإنجازات في العلوم التجريبية والنظرية كعلم الطب والفلك والرياضيات والجغرافيا ...

3/ إنجازات باعتبار المجال.

هي نوعان: إنجازات في العلوم النظرفة كعلم الرياضيات، وإنجازات في العلوم التطبيقفة كعلم الجراحة.

4/ القيمة العلمفة لإنجازات الحضارة الإسلامفة.

- فضل السبق والابتكار.

العلوم تتطور وتتوسع، ولكن ببقى للأول فضل البدء والابتكار، والحضارة الإسلامفة وإن كانت قد اقتبست من الحضارات السابقة واللاحقة إلا أنها أضافت علوما كثرفة ابتكرتها، وصححت علوما كثرفة كانت قد اقتبستها من الحضارات الأخرى، ولم تكف بمجرد النقل كما يزعمه بعضهم من أن الحضارة الإسلامفة كانت خزان علم الإغريق والرومان أو كانت ساعي بريد بين الحضارة الإغريقية والرومانية والحضارة الأوربفة... إن ما أخذته الحضارة الإسلامفة من علوم ومعارف الحضارات الأخرى أخضعته لأحكام الشرع فلم تأخذ إلا ما يتوافق مع الدين والعقيدة والأخلاق.

- الحجر الأساس للتقدم العلمف.

إن إنجازات الحضارة الإسلامفة كانت الحجر الأساس لتقدم الكثر من العلوم التي هي الآن من علوم العصر، وكانت التمهيد لكثير من الاكتشافات التي هي الآن من منجزات هذا الزمان.

الإنجازات في العلوم الشرعفة.

ثم إن الحضارة الإسلامفة لا تشاركها حضارة أخرى في الإنجازات المتعلقة بالعلوم الشرعفة، علوم القرآن الكرفم والسنة النبوة، وما يتعلق بها من العلوم الخادمة كعلم النحو والصرف والبلاغة... وغيرها. ورغم أن هذه العلوم خالصة للحضارة الإسلامفة إلا أن الحضارة الغربفة أخذت منها ما يقضي حاجاتها في الجانب المدني كنظم الحكم ومناهج التعليم وأساليب الإدارة... وغير ذلك.

الحضارة الأوربية من إنجازات الحضارة الإسلامية.

ولهذا ليس من غريب القول أن تكون الحضارة الأوربية من إنجازات الحضارة الإسلامية فقد ثبت تاريخاً وواقعاً أن الحضارة الأوربية اقتبست من علوم ومعارف الحضارة الإسلامية ونسبتها إلى نفسها ولم تلنزم بالأمانة العلمية، حتى في العلوم التي زعمت أنها مأخوذة عن الرومان والإغريق هي لم تحافظ عليها وإنما حافظ عليها المسلمون من خلال التعريب والترجمة مع تنقيحها من المخالفات الشرعية والأخطاء العلمية.

يقول (ويليم أوسلر): ((لئن أشعل العرب سراجهم من قناديل اليونان، فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا شعلة وهاجعة استضاء بنورها أهل الأرض)).¹

لقد ارتقى العرب المسلمون بالحضارة الإنسانية حينما جاء دورهم في بنائها، منذ نزول الوحي الأمين بـ {اقرأ} على قلب محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؛ فنقلوا، وترجموا، ودرسوا، وصححوا... ثم أضافوا وأبدعوا، واقتبس الغرب في أواخر عصوره الوسطى المظلمة ما أبدعته حضارتنا العربية الإسلامية في عصورها الوسطى الذهبية المنيرة؛ فكان هذا الاقتباس السراج الذي أنار لها درب عصر النهضة، وذلك بشواهد لا تحصى من التاريخ الموثق، وباعتراف المنصفين والموضوعيين.²

وسنزيد هذه المسألة توضيحاً عند الحديث عن أثر الحضارة الإسلامية في الحضارة الأوربية، وعن القنوات التي انتقلت منها العلوم والمعارف الإسلامية إلى أوروبا.

الإنجازات نتيجة الاستجابة لدعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

إن هذه الإنجازات كانت نتيجة الاستجابة لكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على العلم والبحث والاكتشاف، ولهذا ما من هذه الإنجازات -مع تنوعها كما سبقت الإشارة إليه- إلا ولها دليل من القرآن والسنة يدل عليها إما نصاً وإما استنباطاً، تصريحاً أو تلميحاً.

(¹) دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل. ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق. ص/31.

(²) المرجع نفسه. ص/17.

العلوم التي اشتغل بها المسلمون.

- أ. علوم أصيلة: التي نشأت في ظل دولة الإسلام وعلى أيدي العرب أنفسهم.
 - ب. علوم محدثة: التي نشأت خارج البيئة العربية، ثم دخلت في بلاد الإسلام وطوّرها العلماء.
- صفات إنجازات الأمة الحضارية:

المتصفح لتاريخ الأمة الإسلامية يجد أنّ إنجازاتها الحضارية اتصفت بصفتين بارزتين هما:
أ. الإعمار الشامل: أي لم تقتصر على مجال واحد، بل شملت مختلف مجالات الحياة: الفضاء، والبناء، والإنسان، والفن، والزراعة الخ.

ب. اتساع الفاعليات العقلية: وقد تجلّى اتساع الفاعليات العقلية في عدة مظاهر:

1/ علوم مبتكرة:

ابتكر المسلمون عدة علوم ابتكارا كاملا ومنها:

- علوم خاصة بالشريعة: علم أصول الفقه الذي ابتكره الشافعي. علم أصول الحديث. علم الجرح والتعديل.
- علوم خاصة باللغة: علم النحو. علم العروض. علم المعاجم.
- وعلم أصول العمران الذي وضع أصوله ابن خلدون.
- وعلم الكيمياء.
- وعلم الصيدلة.
- وعلم المثلاث.
- وعلم الجبر.

2/ اكتشافات غيرت مجرى التاريخ: اكتشف المسلمون عدة اكتشافات كان لها أثر كبير في

توجّه الحياة البشرية وفي تغيير مجرى التاريخ وهي:

- اكتشاف الدورة الدموية، والتخدير، وخيوط الجراحة، والنظارة، وتطوير صناعة الورق، والإبرة المغنطيسية، والبارود، والمضخة الماصة الكابسة التي أصبحت أساساً لمحركات السيارات والقطارات اخترعها الجزري المولود 1165م.

- والكاميرا التي أصبحت نواة لكل الأجهزة البصرية والمرئية كالسينما والتلفاز اخترعها ابن الهيثم المولود سنة 965م.
- والرقاص أو البندول فبفضله عُرف الزمن وصُنعت الساعات لدقة القياس اخترعه ابن يونس المصري سنة 1009م.
- والجبر وهو علم اخترعه الخوارزمي المولود عام 780م كان له الفضل في تطوير علوم الرياضيات والحاسبة والكمبيوتر.
- وقوانين الحركة الثلاثة وهي القوانين المنسوبة إلى نيوتن بينما اكتشفها المسلمون قبله في القرن العاشر الميلادي، وبفضلها قام علم الميكانيكا الحديث وجميع الآلات المتحركة.

3- إنجازات في مختلف العلوم:

أسهم المسلمون في إضافات علمية في مختلف العلوم؛ ومنها:

- 1/ في علم الجغرافيا اكتشف المسلمون كروية الأرض وقاسوا محيطها، ووصفوا خطوط الطول وخطوط العرض، وعرفوا دوران الأرض حول نفسها.
- 2/ وفي الفيزياء اكتشفوا سرعة الضوء، ومبدأ الجاذبية، وقاسوا الضغط الجوي، وعرفوا الثقل النوعي للأجسام ومراكز الأثقال.
- 3/ وفي الحساب اكتشفوا الصفر والنظام العشري.³
- 4/ من إبداعات المسلمين في مجال الجراحة أنهم:
 - أ/ أول من فرّق بين الجراحة وغيرها من الموضوعات الطبية.
 - ب/ أول من تمكّن من استخراج حصى المثانة لدى النساء. عن طريق المهبل.
 - ج/ وألزموا الجراح أن يكون ملماً بعلم التشريح ومنافع الأعضاء ومواقعها.
 - د/ وكانوا يؤكّدون على حاجة المشتغلين بالطب إلى تشريح الأجسام حية وميتة.

(³) انظر: أبرز الاختراعات لعلماء المسلمين. الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ص/438-443.

هـ/ توصلوا إلى وصف دقيق لعملية نرف الدم وقالوا بالعامل الوراثي في ذلك، حيث وجدوا أن بعض الأجسام لديها استعداد للنرف أكثر من غيرها، وتابعوا ذلك في عائلة واحدة لديها هذا الاستعداد وعالجوه بالكلي.

و/ كما نجحوا في إيقاف الدم النزيف أيضاً بربط الشرايين الكبيرة.

ز/ وأجروا العمليات الجراحية في كل موضع تقريباً من البدن. وكتبوا عن جراحة الأسنان وتقويمها وجراحة العين.

ح/ وبرعوا في قدح الماء الأزرق من العين، وكانت هذه العملية أمراً يسيراً ونتائجها مضمونة.

ط/ وذكروا أكثر من ست طرق لاستخراج هذا الماء من العين منها طريقة الشفط.

ي/ وأجروا العمليات الجراحية في القصبة الهوائية.

ك/ كذلك كان المسلمون أول من ابتكروا أنفاً أو أذناً لمن فقد أنفه أو أذنه.

ل/ لكثرة حروب المسلمين فقد طوروا أساليب معالجة الجروح فابتكروا أسلوب الغيار الجاف المغلق وهو أسلوب نقله عنهم الإسبان وطبقوه لأول مرة في الحرب الأهلية الإسبانية ثم عمم في الحرب العالمية الأولى بنتائج ممتازة.

ن/ وهم أول من استعمل فتيلة الجرح لمنع التقيح الداخلي.

س/ وأول من استعمل خيوطاً من مصارين (أمعاء) الحيوان في الجراحة الداخلية..

ع/ ومن أهم وسائل الغيار على الجروح التي أدخلها المسلمون استعمال عسل النحل الذي ثبت حديثاً أن له خصائص واسعة في تطهير الجرح ومنع نمو البكتريا فيه ..

ف/ كما شرحوا الطريقة التي يستطيع بها المصاب بحصّر البول، ومن يتعدّر عليه الإدرار؛ بأن تجرى له جراحة كي تركب له قثطرة.

ص/ ولعل العرب كانوا من أوائل من أشاروا إلى ما يسمى الآن بجراحة التجميل، وقد بينوا كيفية هذه الجراحة في الشفة والأنف والأذن حينما تطرأ عليها الضخامة من نتوء بارز أو قطع، بحيث تعود هذه الأعضاء إلى حالتها الطبيعية فيرتفع القبح الناشئ عن اللحم الزائدة.

ق/ كما مارس الجراحون العرب إجراء العمليات الناجحة في البطن، والمجاري البولية، والولادة القيصرية، وتجبير الكسور، والخلع، وعمليات الأنف والأذن والحنجرة.

ر/ وكانوا يخيطنون الجروح خياطة داخلية لا تترك أثراً ظاهراً من الجانب الخارجي.
ش/ وخاطوا مواضع العمليات بخيط واحد باستخدام إبرتين، واستخدموا الأوتار الجلدية وحيوطاً صنعوها من أمعاء القلط وحيوانات أخرى في جراحات الأمعاء ورتق الجروح؛ إذ إن الجسم يمتصها دون أن تلحق به أذى.

ت/ وتوصلوا إلى أساليب في تطهير الجروح وطوروا أدوات الجراحة وآلاتها.
ث/ وكان للجراحين العرب فضل كبير في استخدام عمليتي التخدير والإنعاش على أسس تختلف عما نقلوه من الأمم الأخرى.

أدوات الجراحة:

وقد اكتشفت بعض الآلات الجراحية أثناء الحفريات التي جرت في موقع الفسطاط التي أسسها عمرو بن العاص سنة 21هـ، 641م. ومن هذه الأدوات:

الدست: وهو يشبه الحقيية التي تحفظ فيها المباح. وهذه المباح أنواع تختلف أشكالها باختلاف الوظائف التي تؤديها؛ فمنها مبضع شق الجلد وهو حاد الطرفين، ويستخدم في حالة فتح مكان في الجلد فوق الشرايين حتى يتمكن الجراح من ربطها.

المبضع المعطوف: ويكون أحد طرفيه حاداً ويستخدم لاستئصال اللوزتين.

المقطع: من الأدوات التي استخدمت للوزتين؛ ويشبه المقص بطرفيه المعطوفين.

المباحع الشوكية: وهي نوعان:

1/ يستخدم لبزل البطن في حالة الحبن (الاستسقاء، الورم) ليسمح بإدخال أنبوب دقيق لسحب الماء.

2/ يشق به الناسور.

مبضع فتح الأورام: لاستخراج الصديد والقيح المتجمع فيها، وهو ذو نصل مستدير.

المبضع الأملس: ويستخدم في قطع الظفرة (لحمة تنبت عند المآقي) من العين.

مبضع الأذن: لقطع ما يسقط في الأذن من أجسام غريبة.

مبضع الشق العجاني: ويستخدم لشق العجان (وهو الدبر وما فوقه) لاستخراج الحصاة.

مبضع الفصد: وهو مبضع عريض ذو نصل يشبه ورقة نبات الآس؛ يستخدم لفصد العروق.

المبضع أملس الحافتين: ويستخدم لفتح الأذن التي قد تسد إما من جراء جسم خارجي، أو لزائدة تنبت فيها.

الصنائير: يوجد منها عدة أنواع، منها:

1/ البسيط ذو المخطاف الواحد.

2/ والمركب ذو المخطافين أو الثلاثة مخاطيف.

3/ وأخرى ذات ثلاث شوكات ومقبض واحد لشد الجلد.

4/ وصنائير خاصة بخلع بقايا السن المكسورة، طرفها مثلث الشكل فيها بعض الغلط.

الأداة العتلة: وهي ذات أشكال وأحجام مختلفة تحددها الوظيفة التي تقوم بها. وهي تستخدم

لخلع بقايا جذور الأضراس المكسورة، فكانت تخلع بإدخال هذه الأداة في السنخ فتخلعها.

الكاليب: لخلع الأسنان والأضراس، ومنها ما يشبه مناقير الطيور تخلع الأضراس من أصولها.

ومن الكاليب ما يستخدم لاستخراج ما ينشب في الحلق من أجسام غريبة، وهي ذات أطراف معقوفة خشنة المبرد إذا لامست الجسم قلما تتركه.

مروء الحلق: وهو آلة يستخرج بها الشوك أو العظم وما شابههما من الحلق، وهي ذات طرف معقوف كالصنارة.

آلة كي اللهاة: وتشبه المروء وطرفها كالمعلقة تملأ بمادة كاوية توضع على اللهاة.

الأنابيب: كانت تتخذ من الريش أو تصنع من الفضة والنحاس أو الحديد. ويعتمد ذلك على نوع الوظيفة التي يؤديها الأنبوب.

أنبوب لقطع الثملة: وهي الزوائد اللحمية التي تظهر في الوجه والعنق، ويصنع من ريش الأوز أو النسور، ويوضع فوق الثملة ويشد عليها حتى يقطعها من أصلها.

أنبوب هوام الأذن: وهو ذو فوهة ضيقة ونهاية واسعة يدخل إلى الأذن بمقدار يحتمله المريض ويشفط به شفطاً قوياً حتى تخرج الهوام. ومن هذا النوع "أنبوب يعبأ بزيت دافئ يدفع ببطء داخل الأذن فتخرج الهوام"، ويصنع من الفضة أو النحاس.

وهناك نوع من الأنابيب يُبرى على هيئة القلم يصنع من الفضة أو النحاس به ثلاثة ثقوب: اثنان منها على جانب واحد تستخدم ليزل الماء في الحبن أو جذبه.

الجفت: وهناك نوعان منه:

1/ لاستخراج العظام المكسورة من الفك.

2/ وآخر صغير دقيق يستخدم في استخراج الأجسام الدقيقة من الأذن.

المجرفة: وهي آلة كالجرد (المكشط) لرفع الأجسام الغريبة من الأذن.

القشاطر: لتسهيل خروج البول من المثانة وطولها نحو شبر ونصف الشبر. وتصنع من الفضة المخوفة بحجم أنبوب ريش الطير.

اللوالب: تستخدمها القابلات في التوليد؛ وهي آلات تساعد في فتح فم الرحم وتصنع من الأبنوس، ويكون في طرف اللولب خشبتان عرض كل منهما نحو أصبعين وطولهما شبر ونصف، وفي وسط الخشبتين زائدتان تربطان فيهما تدخلان في المهبل ليفتح بها عند إدارة اللولب.

الصنانير ذات الشوكتين: لجذب الجنين.

المشداخ: وهو آلة يشدخ بها رأس الجنين ليسهل إخراجها من فم الرحم، ويشبه المقص وله أسنان كأسنان المنشار.

المبخرة: أداة للتبخير بها عند احتباس دم الطمث والمشيمة، وتصنع من النحاس ويوضع طرفها الرفيع في القبل، والواسع على النار، والبخور فوق الجمر.

مدفع الجنين: وهو على شكل صنارة يشبك طرفه في الجنين ويدفع به إلى الأمام.

المجارد (المكاشط): وهي آلات تجرد بها الأضراس والأسنان لإزالة الكلس والسواد والصفرة عنها، وبعضها مصمم ليجرد به من الداخل وبعضها من الخارج وبعضها للجرد بين الأسنان والأضراس.

ومن المجارد ما يستخدم لكشط العظام، وهي كالمبرد وتسمى المجارد خشنة الرأس، وكل المجارد تصنع من الحديد.

- من إنجازات الحضارة الإسلامية في علم الهندسة الميكانيكية.

علم الهندسة الميكانيكية (أو علم الحيل النافعة):

ذلك العلم الذي يُشكّل مع فروع أخرى مثل: (هندسة الأشكال والمخروطات، وهندسة المساحة، وهندسة البصريّات...) منظومة عبقرية لعلوم الهندسة الإسلامية، التي أحسن فيها علماء المسلمين - كما أحسنوا في غيرها من علوم الحياة - الأخذ عمّن سبقوهم، ثم الإضافة المبدعة على هذا الذي أخذوه..

ما هي الغاية من ذلك العلم عند المسلمين؟

الجواب: الغاية هي "الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير" بمعنى استخدام الحيلة مكان القوة، والعقل مكان العضلات، والآلة مكان البدن..

ما هي الأسباب والدوافع التي جعلت العقل الإسلامي يتجه للإبداع والتميز في تطبيق تلك التكنولوجيا؟

الجواب: الأسباب والدوافع أخلاقية، وبيان ذلك كالآتي:

الشعوب قبل ظهور الإسلام: كانت تعتمد على العبيد، وتلجأ إلى نظام السُّخرة في إنجاز الأعمال الضخمة التي تحتاج إلى مجهود جسماني كبير، دون النظر إلى طاقة تحمّل أولئك العبيد.. الشعوب لما جاء وظهر الإسلام: نهى عن السُّخرة، وكرّم العبيد؛ فممنع إرهابهم بما لا يُطبقون من العمل، فضلاً عن تحريم إرهاب الحيوانات، وتحميلها فوق طاقتها... إذا عرفنا ذلك، بالإضافة إلى ضرورات التعمير والبناء - بكل أشكالها - التي صاحبت اتساع الحضارة الإسلامية.. فسوف ندرك جانباً هاماً من دوافع هذا السبق الفريد في علم الحيل النافعة!

أهم الإنجازات في هذا العلم:

1/ رفع الأحجار ومواد البناء لإتمام الأبنية العالية من مساجد ومآذن وقناطر وسدود: ولقد برع المهندسون المسلمون في التوصل لآلات رفع ساعدت -ولا شك!- على إنجاز تلك الأعمال الخالدة... وإلا فكيف يمكن أن ترتفع مئذنة فوق سطح مسجد سبعين متراً.. أي ما يزيد على عشرين طابقاً؟!..

2/ رفع المياه: ومثال على ذلك "سور مجرى العيون" في القاهرة أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي، والذي كان ينقل الماء من فم الخليج على النيل إلى القلعة فوق جبل المقطم، وكانت هناك ساقية تُدار بالحيوانات لترفع المياه لعشرة أمتار؛ فتندفق في القناة فوق السور، وتسير المياه بطريقة الأواني المستطرقة حتى تصل إلى القلعة!

لقد كان لكل هذه الأفكار الإبداعية أثر كبير في دفع مسيرة تقنية "الحيل النافعة" أو الهندسة الميكانيكية قُدماً، حيث تميزت بتصاميمها بالخيال الخصب والتوصيف الدقيق والمنهجية التجريبية الرائدة.

- من إنجازات الحضارة الإسلامية الترجمة⁴:

ولكي يطلع العرب على هذه العلوم كان طبعياً أن ينقلوها من لغاتها الأصلية إلى لسانهم. لم تتسع الترجمة إلا في العصر العباسي، ولا سيما في عصر المأمون. وكانت الترجمة تتم في بادئ الأمر من اللغة الأصل إلى السريانية ومنها إلى العربية، ثم في مرحلة لاحقة صارت مباشرة من اللغات الأصل إلى العربية.

وكان المترجمون نوعين:

- 1/ سُريان: فكانت أغلب نقولهم من اللغة اليونانية أو السريانية.
 - 2/ مسلمون: فقد كانوا يترجمون مباشرة من الفارسية أو الهندية وغيرها إلى العربية.
- ومن أبرز هؤلاء المترجمين في مجال الترجمة العلمية:
- أ/ ماسرجويه ويسمى أحياناً ماسرجيس: وقد نقل موسوعة طيبة يونانية تسمى الكُنْاش.
- ب/ أبو يحيى البطريق (ت 800هـ، 1397م): وقد ترجم كتاب الأربع مقالات في علم النجوم لبطليموس وكتاب النفس والحيوان لأرسطو.
- ج/ آل بختيشوع؛ ومنهم جورجيس ابن جبريل (ت 771هـ، 1369م): وقد ترجموا الكتب الطبية.

(⁴) للتوسع: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية. عز الدين فراج. ط/بدون. 1423هـ-2002م. دار الفكر العربي للطبع والنشر. القاهرة. ص/14. الترجمة وجمع الثقافات.

د/آل حنين؛ وفي مقدمتهم حنين بن إسحاق (ت 260هـ، 873م): الذي ترجم سبعة من كتب أبقراط ومعظم أعمال جالينوس الطبية.

ه/آل قُرّة؛ وأبرزهم ثابت بن قرة (ت 288هـ، 901م): وقد ترجم سبعة من كتب أبولينيوس الثمانية في المخروطات، ونقل كتاب جغرافية المعمور وصفة الأرض لبطليموس. و/قسطا ابن لوقا البعلبكي (ت 311هـ، 923م): الذي نقل كتبًا كثيرة من أهمها كتاب الحيل وكتاب أوطولوقس.

ز/محمد بن إبراهيم الفزاري (ت 800هـ، 1397م): الذي ترجم أهم كتب الفلك من اللغة السنسكريتية.

وسعود إلى موضوع الترجمة باعتباره أحد القنوات التي انتقلت منها الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الأوربية.

منهج المسلمين في البحث العلمي.

إن العلماء المسلمين في شتى ميادين المعرفة جعلوا البرهان دليلاً وشاهداً. فالدعوة إلى الإنصاف وإلى الحق والصدق والمعرفة كانت من صميم مقدمات أعمالهم، ولم يكن تفكيرهم العلمي يختلف كثيراً عن المنهج العلمي الحديث.

الإبداع والابتكار.

أثناء وبعد حركة الترجمة ألف المسلمون في كل ضرب من ضروب المعرفة وفي كل الفنون، ولم يكتفوا بنقل التراث العلمي للأمم الأخرى، بل أضافوا له وزادوا عليه، ثم كانت لهم ابتكاراتهم الجديدة.

وللوقوف على منجزات العرب والمسلمين في العلوم، ليس من المنطقي أن ننظر إلى منجزاتهم من خلال المكتسبات والمعطيات العلمية الحديثة، وإنما من خلال العصر الذي عاشوا فيه ومن جاورهم من أمم، وفي ضوء الإمكانيات التي كانت متاحة إذ ذاك، والإسهام الذي أسدوه لجيلهم ولأجيال لحقتهم وما أضافوه لحضارة وعلم تلك الأجيال. هناك ظروف توافرت أدت إلى تفوق العقلية العربية الإسلامية، كما توافرت ظروف مضادة أدت إلى اضمحلال الفكر الإسلامي.

تهيؤ المناخ العلمي للعلماء لتقديم أفضل ما يمكن.

هناك عدة عوامل ساعدت على التفوق العلمي في ذلك العصر:

- 1/ دعوة القرآن الكريم وأحاديث النبي إلى طلب العلم والحث عليه.
- 2/ حرية الرأي العلمي؛ فلم يتعرض عالم من علماء العلوم البحتة أو التطبيقية لمحنة بسبب رأيه العلمي.

3/ رعاية الحكام والولاة للعلماء، والإنفاق عليهم بسخاء، بل كان من بين الحكام علماء.

4/ اعتزاز العلماء بعلمهم فلم ينزلوا بنفوسهم إلى الاستجداء بالعلم.

5/ الاستعداد الذهني والصبر والأناة في ظل الوفرة الاقتصادية.

- من إنجازات الحضارة الإسلامية المنهج التجريبي.⁵

المنهج التجريبي موضوعه الوقائع الخارجة عن العقل (أي: عن الاستدلال الرياضي). وخطواته ثلاث: الملاحظة، ثم الفرض، ثم التجريب.

يُعدُّ التوصل إلى المنهج العلمي التجريبي الرصين في البحث، والقائم على القياس والاستقراء، والمستند إلى المشاهدة والتجربة - إضافةً إسلاميةً مهمةً لمسيرة العلم في العالم.

وهو منهج مخالف تمامًا لما كان عليه اليونانيون أو الهنود أو غيرهم؛ فهذه الحضارات كانت تكتفي في كثير من الأحيان بافتراض النظريات دون محاولة إثباتها عملياً، فكانت في أغلبها فلسفات نظرية، لا تطبق لها في الكثير من الأحيان، حتى وإن كانت صحيحة، وكان يؤدي هذا إلى الخلط الشديد بين النظريات الصحيحة والباطلة، إلا أن جاء المسلمون فابتكروا الأسلوب التجريبي في تناولهم للمعطيات العلمية والكونية من حولهم، وهو ما أدى إلى تأسيس قواعد المنهج العلمي التجريبي، الذي ما زال العلم المعاصر يسير على هديته.

وقد أدى تطبيق المسلمين للمنهج التجريبي على النظريات السابقة، ودون اعتبار إلى اسم صاحب النظرية مهما كان مشهوراً، أدى إلى اكتشاف الكثير من الأخطاء التي توارثها العلماء على مدار قرون متتالية.

(⁵) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. يوسف الواعي. ص/294-298. ماذا قدم المسلمون للعالم؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ص/177-180.

فلم يكن العلماء المسلمون يكتفون بنقد النظريات السابقة واختبارها، ولكن كانوا كثيراً ما يفترضون الافتراضات الجديدة، ثم يختبرونها حتى يتحوّل الافتراض إلى نظرية - إذا أثبت قربه من الحقيقة - ثم يختبرون النظرية حتى يثبت لهم في النهاية أنها أصبحت حقيقة وليست نظرية، وفي سبيل هذا كانوا يُجرّون الكثير من التجارب دون ملل.

نماذج لعلماء المسلمين اعتمدوا على المنهج التجريبي.

ومن العلماء المسلمين الذين كان لهم باع طويل في هذا المجال جابر بن حيان [200هـ]، والخوازمي [313هـ]، والرازي [430هـ]، والحسن بن الهيثم [430هـ]، وابن النفيس [687هـ]، وغيرهم كثير.

فهذا جابر بن حيان شيخ الكيميائيين يقول: "وملاك كمال هذه الصنعة العمل والتجربة؛ فمن لم يعمل ولم يجرب لم يظفر بشيء أبداً" [جابر بن حيان: كتاب التجريد، ضمن مجموعة حققها ونشرها هولليارد بعنوان: مصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر ابن حيان، باريس 1928م]. وفي كتاب (الخواص الكبير) المقالة الأولى يقول: "إننا نذكر في هذه الكتب خواص ما رأيناه فقط دون ما سمعناه، أو قيل لنا وقرأناه، بعد أن امتحنناه وجرّيناه، فما صحّ أوردناه، وما بطل رفضناه، وما استخرجناه نحن أيضاً قايسناه على أحوال هؤلاء القوم" [جابر بن حيان: كتاب الخواص الكبير ص232].

ولذلك يُعد جابر أول من أدخل التجربة العلمية المخبرية في منهج البحث العلمي الذي أرسى قواعده، وكان أحياناً ما يُسمّى التجربة بالتدريب، فكان يقول: "فمن كان درياً كان عالماً حقاً، ومن لم يكن درياً لم يكن عالماً، وحسبك بالذرية في جميع الصنائع أن الصانع الدرب يحذق، وغير الدرب يعطل" [جابر بن حيان: كتاب السبعين ص464].

وعليه يكون جابر قد قطع خطوة أبعد مما قطع علماء اليونان قبله في وضع التجربة أساس العمل لا اعتماداً على التأمل الساكن. يقول قدرى طوقان: يمتاز جابر على غيره من العلماء بكونه في مقدّمة الذين عملوا التجارب على أساس علمي، وهو الأساس الذي نسير عليه الآن في المعامل والمختبرات؛ إذ دعا إلى الاهتمام بالتجربة وحثّ على إجرائها مع دقة الملاحظة، كما دعا

إلى التأني وترك العجلة، وقال: إن واجب المشتغل في الكيمياء هو العمل وإجراء التجربة، وإن المعرفة لا تحصل إلاً بما إقدي طوقان: مقام العقل عند العرب ص217، 218].

ولعل الرازي يكون هو أول طبيب في العالم يستخدم هذا المنهج التجريبي، وذلك من خلال إجراء تجاربه على الحيوانات، وخاصةً القرود، لاختبار طرق العلاج الجديدة قبل أن يُجرِّبها على الإنسان، وهو منهج علمي رائع لم يُقرَّه العالم إلاً منذ فترة وجيزة؛ ففي منهجه الذي سار عليه تراه يقول: "عندما تكون الواقعة التي تواجهنا متعارضة مع النظرية السائدة يجب قبول الواقعة، حتى وإن أخذ الجميع بالنظريات السائدة تأييداً لمشاهير العلماء" [ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء 77/1، 78]! فهو يقرّر أن الجميع قد ينبهر بآراء العلماء المشهورين الكبار، ويتوقّف عند نظرياتهم، إلاً أن التجربة أحياناً ما تتعارض مع النظرية، فهنا يجب علينا رفض النظرية - وإن كانت لمشاهير العلماء - وقبول التجربة والواقعة، والبدء في تحليلها والاستفادة منها.

وبسبب المنهج التجريبي أيضاً حفلت كتب ابن الهيثم بانتقادات كثيرة لنظريات إقليدس [إقليدس: (325 ق.م - 265 ق.م) هو رياضي يوناني، يعدّ مؤسس علم الهندسة، وأشهر كتبه كتاب الأصول] وبطليموس [بطليموس: هو كلاوديوس بطليموس (بين 83 - 161م) أشهر الفلكيين الإغريق، وهو فلكي ورياضي وفيلسوف، ويعرف ببطليموس الحكيم، اختلف في نسبته إلى اليونان أو مصر، أشهر كتبه المجسطي في الفلك]، مع علوّ قدرهما العلمي، ويتّضح منهج ابن الهيثم العلمي إجمالاً من مقدّمة كتابه (المنظر)، فقد بيّن فيه بإيجاز الطريقة التي هداه تفكيره إلى أنّها الطريقة المثلى في البحث، والتي أتبعها في بحوثه، يقول ابن الهيثم: "... ونبتدئ في البحث باستقراء الموجودات، وتصفّح أحوال المبصرات، وتمييز خواصّ الجزئيات، ونلتقط باستقراء ما يخصّ البصر في حال الإبصار، وما هو مطّرد لا يتغيّر، وظاهر لا يشته من كيفية الإحساس، ثم نرتقي في البحث والمقاييس على التدرّج والترتيب مع انتقاد المقدمات والتحفّظ في النتائج، ونجعل غرضنا في جميع ما نستقرّيه ونتصفّحه استعمال العدل لا اتّباع الهوى، ونتحرّى في سائر ما نميّزه وننتقده طلب الحقّ لا الميل مع الآراء" [ابن الهيثم: المناظر، تحقيق د. عبد الحميد صبره ص62].

فابن الهيثم أخذ في بحوئه بالاستقراء والقياس، واعتنى في البعض منها بالتمثيل، وهي عناصر البحوث العلمية العصرية، وابن الهيثم - كواحد من علماء المسلمين الذين أسسوا للمنهج التجريبي - لم يسبق فرنسيس بيكون [فرانسيس بيكون Francis Bacon: (1561-1626م)] فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف في الغرب بأنه مؤسس العلم التجريبي القائم على الملاحظة والاستنتاج، والرافض لأن يكون منطق أرسطو صالحاً للحكم العلمي [إلى طريقته الاستقرائية فحسب، بل سما عليه سمواً كبيراً، وكان أوسع منه أفقاً وأعمق تفكيراً، وإن لم يعن كما عني بيكون بالفلسف النظري.

ويذهب الأستاذ مصطفى نظيف [مصطفى نظيف: (1893-1971م)] من أبرز العلماء المصريين في القرن العشرين، تخصص في الطب والفيزياء، وكان له اهتمام عظيم بالتراث العلمي للحضارة الإسلامية، وأولى اهتماماً خاصاً بتراث الحسن بن الهيثم، وكان من أوائل المطالبين بتعريب العلوم [إلى أكثر من هذا فيقول: "بل وإن ابن الهيثم قد عمق تفكيره إلى ما هو أبعد غوراً بما يظن أول وهلة، فأدرك ما قال من بعد (ماك) و(كارل بيرسون) [كارل بيرسون Karl Pearson: (1857-1936م)] هو محام رياضي إنجليزي، يعدّ واضع أسس الإحصاء الرياضي. أسس أول قسم للإحصاء في العالم في كلية لندن عام 1911م] وغيرهما من فلاسفة العلم المحدثين في القرن العشرين، وأدرك الوضع الصحيح للنظرية العلمية، وأدرك وظيفتها الحقّة بالمعنى الحديث" [قدري طوقان: مقام العقل عند العرب ص223].

بل إن بعض علماء المسلمين اعتبر الكتابة غير دقيقة إن لم تسبقها تجارب، فقال الجلودكي [الجلودكي: (ت بعد 742هـ - بعد 1341م)] هو عز الدين علي بن محمد بن أيدير الجلودكي، كيميائي وفيلسوف، أحد أشهر علماء الكيمياء. ينسب إلى "جلدك" بخراسان. من كتبه: "كنز الاختصاص في معرفة الخواص". انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون 1512/2، والزركلي: الأعلام 5/5] أحد أعلام الكيمياء من علماء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) عن الطغرائي [الطغرائي: هو أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد الأصبهاني (453-513هـ / 1061-1119م)، المعروف بالطغرائي، أديب، خبير بصناعة الكيمياء. ولد بأصبهان، وولي ديوان الإنشاء والوزارة، وقُتل. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان 185/2-190، والصفدي: الوافي بالوفيات 12/268، 269] (ت 513هـ) الكيمياء المعروف: "كان الطغرائي رجلاً على جانب عظيم من الذكاء، ولكنه لم يعمل إلا قليلاً من التجارب، وهذا أمر يجعل كتاباته غير دقيقة" [ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ص218].

وهكذا يكون المسلمون قد توصلوا إلى المنهج العلمي التجريبي، والذي من خلاله تعلّمت البشرية كيف تصل إلى الحقيقة العلمية بثقةٍ واقتدار، بعيداً عن الظنون والأوهام والأهواء. إن أعظم ما يمكن أن يفخر به العلم الإسلامي في عصر ازدهاره هو أنه أضاف بالتدرج إلى مفهوم العلم معنىً جديداً لم يكن يلقي اهتماماً عند اليونانيين، وهو استخدام العلم في كشف أسرار العالم الطبيعي، وقهر الإنسان للمادة والسيطرة عليها. واستخدم المسلمون الرياضة في حل المشكلات الواقعية التي تواجه الإنسان، وبرعوا في علوم المادة، واخترعوا علومًا مساعدةً لذلك. فمثلاً برعوا في استخدام الأرقام، ووضع أسس علم الحساب الذي يمكن تطبيقه في حياة الناس اليومية، وكان اختراعهم للجبر وتفوقهم في الهندسة التحليلية وابتكارهم لحساب المثلثات إيذاناً بعصر جديد تستخدم فيه الرياضة للتعبير عن قوانين العالم الطبيعي، وعلى هذا فقد وضحت على يد العلماء الإسلاميين أصول المنهج التجريبي بما يقتضيه من ملاحظات دقيقة دائمة ومن تسجيل منظم لهذه الملاحظات ثم وضع الفروض لتفسيرها وإجراء التجارب للتحقق من صحة هذه الفروض.

1. إن العرب هم أول من استعمل المنهج التجريبي واستخراج المجهول من المعلوم واستنباط العلة من المعلولات ولم يسلموا أبداً إلا بما يثبت بالتجربة والترصد.
2. فحصوا تراث الإغريق العلمي الذي انتقل إلى البيزنطيين وغيرهم، فلم يستفيدوا منه أو يحصوه، فلما آل إلى العرب عملوه عملاً آخر، وأبانوا ما فيه من زيف، وما فيه من علم يستحق التطوير.
3. اعتماد العرب على المنهج التجريبي منح مؤلفاتهم دقة وإبداعاً وثقة، فتحت آفاقاً بعيدة في العلم.
4. كانت هذه الآفاق الجديدة التي وصلت إليها العرب سبباً في فتح كنوز الأرض وخيرها على العالم.

5. للتعاليم الإسلامية آثارها في المنهج التجريبي، ومن ذلك الجمع بين الدين والدنيا، كما قال الله تعالى في قصة قارون: { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) } وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) } [القصص: 76-77]. والمعنى: إن قارون كان من قوم موسى عليه السلام فتكبر عليهم، وأعطيناه من كنوز الأموال ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة القوية، إذ قال له قومه: لا تفرح فرح البطر، إن الله لا يحب الفرحين فرح البطر، بل يبغضهم ويعذبهم على ذلك.

واطلب فيما أعطاك الله من الأموال الثواب في الدار الآخرة، بأن تنفقه في وجوه الخير، ولا تنس نصيبك من الأكل والشرب واللباس وغير ذلك من النعم، في غير إسراف ولا مخيلة، وأحسن التعامل مع ربك ومع عباده كما أحسن سبحانه إليك، ولا تطلب الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي وترك الطاعات، إن الله لا يحب المفسدين في الأرض بذلك، بل يبغضهم⁶. إنه منهج القرآن، منهج يعلق قلب الإنسان بالآخرة، ولا يجرمه أن يأخذ بقسط في هذه الحياة. المؤمن يسخر الدنيا لنفسه، ولا يسخر نفسه للدنيا.

من إنجازات الحضارة الإسلامية: الوقف.

يُعد الوقف بمفهومه الواسع أصدق تعبيرٍ وأوضح صورة للصدقة التطوعية الدائمة، بل له من الخصائص والمواصفات ما يميزه عن غيره، وذلك بعدم محدوديته، واتساع آفاق مجالاته، والقدرة على تطوير أساليب التعامل معه، وكل هذا كفيل للمجتمع المسلم التراحم والتواد بين أفرادها على مر العصور بمختلف مستوياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الأمة الإسلامية خلال الأربعة عشر قرناً الماضية، فنظام الوقف مصدر مهم لحيوية المجتمع وفاعليته وتجسيد حي لقيم التكافل الاجتماعي وترسيخ مفهوم الصدقة الجارية برفدها الحياة الاجتماعية بمنافع مستمرة ومتجددة تنتقل من جيل إلى آخر حاملة مضموناتها العميقة في إطار عملي يجسده

(⁶) المختصر في التفسير. ص/394.

وعى الفرد بمسئوليته الاجتماعية ويزيد إحساسه بقضايا إخوانه المسلمين ويجعله في حركة تفاعلية مستمرة مع همومهم الجزئية والكلية.⁷

المقاصد الشرعية العامة من الوقف.⁸

مقاصد الوقف تعود إلى أصولها - كما ذكرنا - وهذه المقاصد في مجملها هي: مجموع حكم الوقف وأسراره وغاياته، كتحقيق العبودية والامتثال وجلب مرضاة الخالق، وتحقيق الكليات الخمس، وسد الضروريات والحاجيات والتحسينيات، والتقدم المعرفي والتكافل الاجتماعي والإسهام الحضاري، وتقوية جناب الأمة وإبراز شهودها العالمي. فضلا عن إدامة الوقف وتفعيله وتعديته وتعميمه، مما يجلي مقصوده الأعظم المتصل بالنفع العام والإصلاح الشامل وجلب سعادتي الدارين.

ونفصل القول في هذه المقاصد:

أولاً: تحقيق عبودية الله تعالى، وتقرير الامتثال إليه والالتزام بما أمر، والانتفاء عما نهي. وهذا المقصد هو بمثابة المقصد الأعلى والجامع لكل ما يليه من المقاصد والغايات والأهداف. وهذا مستفاد من حقيقة الإسلام التي تقرر أصلية العقيدة والعبودية والامتثال لكل ما يتفرع ويتوزع من الأحكام والأعمال والأحوال قال تعالى: { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } [الذاريات: 56]. وقال جل شأنه: { بل الله فاعبد وكن من الشاكرين } [الزمر: 66].

ثانياً: استمرار الأجر والثواب، وبلوغ الإنسان الواقف مراتب عليا في الدار الآخرة، ونيئ رضا الرحمن بفضله وعدله. وهذا المقصد هو بمثابة المقصد الأكبر الذي يسعى إليه كل مسلم متعبد ومطيع وملتزم بتوجيه دينه وأحكامه، ومنها أحكام الوقف، باعتباره إحدى القرب العالية والطاعات الجليلة التي يجبها الأمر سبحانه وتعالى، قال ابن عبد البر: ((وهذا من فضل الله على

(7) المقاصد الشرعية من الأوقاف الإسلامية (خصائصها وأصولها وقواعدها. د. حمزة حسن محمد الأمين. ص/1. ضمن بحوث: المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية 1430هـ-2009م.

(8) المرجع السابق، حمزة حسن [ص/194-202 باختصار] . المقاصد الشرعية للوقف الإسلامي تأصيلاً وتنزيلاً. نور الدين مختار الخادمي. ط/1. 1421هـ-2001م. الناشر: مكتبة العبيكان. السعودية. [ص/902-911].

عباده المؤمنين أن يدركهم بعد موتهم عمل البر والخير بغير سبب منهم، ولا يلحقهم وزر يعمله غيرهم ولا شر إن لم يكن لهم فيه سبب يسببونه ، أو يتدعونه فيعمل به بعدهم)).⁹

ثالثا: إقامة الدين وحفظه وصونه، وذلك من خلال أمرين اثنين:

الأمر الأول، ويتعلق بتطبيق الوقف نفسه، باعتباره أحد تكاليف الدين، فيكون أعماله إعمالا للدين في هذا التكليف، وهو ما يؤدي إلى حفظه وإقامته بهذا الوجه. الأمر الثاني ويتعلق بالأوقاف الدينية ذاتها، كالوقف على المساجد والمدارس القرآنية والجامعات الشرعية، بنائها وتأسيسها ورعايتها، والوقف على أهل العلم وطلابه وعلى الفقهاء والقراء والحفظة والأئمة والمؤذنين والوعاظ والدعاة والمفتين ، فهذه الأوقاف تخدم الدين في صميمه وحقيقته.

رابعا: حفظ النفس وحفظ حياتها وسلامتها وصحتها وأمنها النفسي والغذائي والمادي، وذلك من خلال سد الضروريات والحاجيات التي بها يقوم أمر الإنسان في عاجل أمره وآجله. وهذا يتحقق بمجاله المتعلق بالإفادة بمنافع الوقف وثمرته وربعه، بما يسد هذه الضروريات والحاجيات والتحسينيات.

الوقف الإسلامي وسيلة لتحقيق مقصد حفظ النوع الإنساني:

الوجهة الأولى: العمل على توفير الحاجات الضرورية التي عليها تتوقف حياة الإنسان، وذلك من مآكل ومشرب ومسكن وملبس ومنكح وتعليم وغيرها مما يمكن أن يتعدد ويتنوع حسب الأزمنة والأمكنة والأحوال، وذلك حتى لا تذهب أموال الوقف في مشاريع جزئية، وتلبية حاجات ثانوية، أو تحقيق مصالح مرجوحة، فأموال الوقف إذا لم تكن محكمة بهذا السقف المقاصدي الضروري المرتبط بحياة الإنسان، زاغت عن وظيفتها.

الوجهة الثانية: العمل على توفير حاجات الكفاية للإنسان، وذلك لضمان حفظ نشاط هذا الإنسان وتأمين قدرته على الإعمار، لأن مجرد حفظ الحياة على المستوى الضروري لا يجعل الإنسان قادرا على أداء وظيفة الاستخلاف في الأرض بإعمارها بل لا بد له من كفايته حتى لا ينشغل باله، فكل ما يشغل الإنسان ويصرفه عن وظيفته المركزية التي من أجلها خلق، لزم شرعا كفايته هم ذلك، وإلا حل به الحرج المرفوع في الشريعة ...

(⁹) التمهيد. أبو عمر يوسف بن عبد البر. [93/21].

والوقف أقوى أموال الصدقات القادرة على سد الخلة الاجتماعية وتلبية مختلف الحاجيات الإنسانية، بما تمتاز به من استقلالية وديمومة، خصوصا وأن القصد من تلبية حاجيات الإنسان ليس الحفاظ على الإنسان حيا، بل الحفاظ عليه حيا فاعلا، وهذا لا يتم إلا بتلبية حاجياته على المستويين الضروري والحاجي.

خامسا: حفظ العقل وحمایته من معوقاته ومبطلات رسالته في العلم والنظر والفهم والتميز والترجيح والاستنباط والابتكار، وما يكون أثرا لكل ذلك، من تنمية وإنتاج وصنع وتكثير للثمار والمنافع والسلع والبضائع والمستهلكات ومستلزمات العيش والحياة. وأهل العلم قد أبرزوا لتحقيق هذا المقصد ما يعرف بالوقف على أهل العلم والفكر ومؤسسات التعليم والتدريس، وهيئات التنظير ومراكز البحوث وتكوين الملكات العقلية وتدريب المهارات الذهنية، وكل ما له اتصال بصيانة العقل وترسيخ مكانته وتقوية أثره، ولعل من ذلك: إنشاء الأوقاف الإعلامية والمعلوماتية التي تواجه حركات التجهيل والدجل والشعوذة والسحر، والتي تؤسس لحركة علمية وتنقيفية وتوعوية واسعة تعيد للعقل الفطري مكانته ورسالته. وقد عُلم أن العقل في الشرع الحنيف يحفظ - من جهة الإيجاد - بالتعليم والتزويد بالمعارف النافعة والفنون المفيدة الصالحة، هذا فضلا عن تحقيق سلامته بسلامة الجسد والنفس، وبحسن الغذاء والرياضة، وبفعل العلاج وتناول الدواء عندما يرد موجب ذلك، كما أن هذا العقل يحفظ - من جهة العدم - بمنع بكل ما يؤدي إلى إعاقة وإبطال دوره أو تقليل أثره. ومن هذا القبيل يرد منع الشعوذة والسحر والكهانة والجهل وسائر ضلالات العقل وبدع الفكر وانحرافات الفهم والتأويل والتفسير.

دور الوقف في حفظ العقل والتنمية العلمية والثقافية في تاريخ الحضارة الإسلامية؛ قام على الدعائم التالية¹⁰:

أولاً: الاستفادة من المساجد في التعليم بإيجاد زوايا العلم وحلقات الدرس.
ثانياً: تشييد المدارس وتعيين المدرسين فيها والإنفاق على طلبة العلم.
ثالثاً: العناية بتوفير مصادر المعلومات في المساجد والمدارس والربط والمستشفيات عن طريق المكتبات الوقفية.

وإذا كان دور الوقف في التنمية العلمية قام على تلك الدعائم فإن هذا الدور حقق أمرين مهمين ساعداً على أن تكون هذه التنمية شاملة لكل العالم الإسلامي، وأنها كفلت للعلماء والطلاب استقلالية عن هيمنة الدولة.

أما الأمر الأول فهو: إتاحة الفرصة لكل راغب في العلم مهما يكن مركزه الاجتماعي، ومن ثم كانت المساواة في الدراسة للجميع وكان التنافس بين طلاب العلم الذين مثلوا كل قطاعات المجتمع من عوامل نبوغ عدد كبير من هؤلاء الطلاب وكانوا بما أعطوا من علم قوة دافعة لمواصلة التنمية العلمية عبر العصور والأجيال.

وكان الأمر الثاني: وهو تمتع العلماء والطلاب بالحرية الاقتصادية واستقلالهم عن أجهزة الدولة، وعدم حاجتهم المادية إليها له أثره المهم في ازدهار الحياة العلمية ونموها، لأن تلك الحرية والاستقلالية وجهت العقول للابتكار والصراع العلمي بين المدارس والمناظرة.

سادساً: حفظ النسل والنسب والعرض، من خلال تسخير الأعمال الوقفية القائمة بتحقيق هذا المقصد، كأوقاف الأُسَر والأطفال والأرامل واليتامى وأصحاب العوز والحاجة. وربما تتجه الإرادة أكثر نحو تخصيص ريع بعض الوقف للمقبلين على الزواج، تيسيراً لهذا الزواج، وإيجاداً لأُسَر جديدة تعزز دور المجتمع المسلم في المحافظة على دينه وعرضه وأمنه الخلقى والحضاري.

(10) المقاصد الشرعية للوقف نظرياً وتطبيقاً. أ.د. محمد السيد الدسوقي. ضمن بحوث: المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية الجامعة الإسلامية ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

سابعاً: حفظ المال وتنميته وتطويره واستثماره، بما يقوي جانب المسلمين المالي والمادي والتقني، وبما يسد الضروريات ويقضي الحوائج ويجنب الخصاصة والفقر والمرض والجهل وغير ذلك مما ينجم عن عدم المال أو قلته. ومعلوم أن المجال المالي للأعمال الوقفية مجال رحب وفسيح، يعد بالخير والسعادة، ويشير بأقدار كبيرة في الاستقلال المالي والتمكين الاقتصادي الذي سيكون له أثره في التمكين العام والأمن الشامل، بإذن الله تعالى، بسبب ذلك. وحفظ أصول الأموال من الضياع من أبرز مقاصد الشرع في المجال الوقفي المالي، إذ تبقى الأصول تدر بمنافعها وخيراتها، وتبقى الأعيان محفوظة، لا تباع ولا تورث ولا توهب، لا تأتي عليها النفقات والمصروفات واستهلاك ريعها وعائدها، وهذا من أجل مظاهر الاقتصاد وتطوره وتقدمه وثباته.

الخلاصة أن دور الوقف في الحفاظ على المال كان كبيراً، وأن هذا الدور يمكن إيجازه في النقاط التالية¹¹:

- أ/ استمرار المؤسسات الخيرية في أداء رسالتها.
- ب/ اتساع دائرة الحركة المالية بتوزيع قدر من الثروات على طبقات اجتماعية معينة، يساعدها على ضروريات الحياة، ويزيد من الطلب على السلع المشبعة لهذه الضروريات، فتدور عجلة التجار، وينمو الاقتصاد.
- ج/ الإسهام في حفظ الأصول المنتجة من التلاشي مع إعطاء الأولوية في المحافظة عليها وإنمائها قبل الصرف للموقوف عليهم.
- د/ حفظ أجزاء من المال لتوزع على الأجيال اللاحقة.
- هـ/ الإسهام في إنشاء المصارف الإسلامية وتدعيم المشروعات الاقتصادية.
- و/ إيجاد فرص عمل والحد من البطالة فيزداد الإنتاج مع تنمية مهارات الأفراد.

(¹¹) المرجع نفسه.

ثامنا: تحقيق معنى الاستخلاف في الأرض وطلب إعمارها وتزيينها، وفقا لمراد الشارع وأحكام الشرع، قال تعالى: { آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه } [الحديد:7]. ويتحقق هذا المقصد من خلال فعل الوقف الذي يعد جزءا من رسالة استخلاف الإنسان في الأرض، فقد أراد الله تعالى أن يكون الوقف الشرعي أحد تكاليف هذه الرسالة، فيكون الفاعل له فاعلا لعمل من أعمال هذه الرسالة ، كما يتحقق هذا المقصد من خلال الأوقاف الموجهة لإعمار الأرض، كأوقاف المزارع والمصانع والعمائر، بوقف أعيانها والإفادة بمنافعها، وهو ما يسهم بوجه ما في الاستخلاف والإعمار والبناء والإنتاج. ومعلوم أن من أوجه الاستخلاف : العمل والإنتاج المادي، إضافة إلى الإنتاج الروحي. ويشكل الوقف بأعماله المختلفة ونشاطاته المبتكرة ميدانا رحبا لمعنى الاستخلاف في الأرض وإعمار الحياة وتعمير الآخرة بالخير والثواب وحسن الجزاء.

تاسعا: إدامة الصرف والنفع للمحتاجين، وهذا المقصد يتجاوز مقصد سد الحاجيات الآنية أو المطالب الملحة الواقعة في فترة أو برهة من الزمن، وإنما يحقق المعالجة الدائمة للحاجة والفاقة، بموجب تنمية الموقوف واستثماره وتكثيره، ليسائر متطلبات الحياة ، وفقا لقانون الداخل والخارج في مجال الكسب والإنفاق. وميزة دوام الصرف والنفع في الوقف يعبر عن طبيعة هذا الوقف، وعن مخالفته لأوجه العطايا الطوعية الأخرى ، كالصدقة والهبة والهدية. قال الدهلوي، عن الوقف ومشروعيته: ((فاستنبطه النبي صلى الله عليه وسلم لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرا ثم يفتنى، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، وتجيء أقوام آخرون من الفقراء فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للعامّة من أن يكون شيء حسبنا للفقراء وابن السبيل، يصرف عليهم منافعه، ويبقى أصله)).¹²

(¹²) حجة الله البالغة. أحمد بن عبد الرحيم المعروف ب: الشاه ولي الله الدهلوي.ت: 1176هـ. المحقق: السيد سابق. الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، سنة الطبع: 1426 هـ - 2005م. [180/1].

عاشرا: تعميم النفع وتوسيع دائرته وتكثير أصنافه وتعدد مجالاته، وهو ما يعرف بتعددية مصالح الوقف وعدم قصرها على أفراد معينين أو حصرها في مجال محدد. وما يذكره الفقهاء من الوقف على أفراد مخصوصين، كالأولاد أو الزوجة، إنما يرد ليقرر نوعا من أنواع الوقف، دون قصر أو حصر، بل يرد في مقابله وموازاته ما يعرف بالوقف على جهة عامة أو جماعة كثيرة. ومعلوم أن الشرع يتشوف إلى جلب المصالح وتكثيرها، وإلى دفع المفاسد وتقليلها، كما علم أن النفع المتعدي مقدم على النفع القاصر، وأن كلا من الوقف الذري والوقف الخيري مشروع لمصلحه المعبرة وحكمه البالغة، وهذا كله لا يعارض تشوف الإسلام لتعددية المصالح وتعميمها. وهو ما جعل أهل الإنصاف والموضوعية يشهدون لإنسانية الوقف الإسلامي، وشموله لأوجه خيرية كثيرة، في الداخل الإسلامي وفي الخارج.

حادي عشر: تقوية الروابط بين الأقارب وأولي الأرحام، وتحقيق ما يترتب على ذلك من مقاصد التعاون والتواصل والتراحم، ومن التقوي - بالمعروف - برابطة الدم على نوائب الحياة وشدائد الزمن. إحياء روح التكاتف بين أفراد المجتمع، وتعزيز الروابط بين الطبقات المحتاجة والفقيرة.

ثاني عشر: كتابة الأثر الحسن للواقف، والثناء عليه ومدحه في معروف واعتدال، ووصول ثواب ذلك إليه، بمشيئة الله تعالى، وهو ما يغرس قيمة الشكر والثناء المحمودين، ويربي الناس على الوفاء والاعتراف بالجميل وإقرار الفضل لأصحابه.

ثالث عشر: حفظ كرامات المجتمع، وخاصة الفضلاء والمتعفين من الاستجداء والتزلف للأغنياء، مما ينتج عنه عزة النفس واستقلال الفكر وقيام الكرامة.

رابع عشر: تحقيق صيانة الأعيان من عبث السفهاء، إذ كثيرا ما يلجأ هؤلاء السفهاء إلى تبديد الأموال المنقولة إليهم، ولذلك توقف هذه الأموال، لينتفعوا بريعتها، وتبقى أصولها تدر عليهم بخيرها وعائدها.

خامس عشر: تقوية الحركة العلمية والثقافية، وتحقيق ما يبنى على ذلك من تقدم مادي وعمراني وأدبي وروحي، والحفاظ على هيبة العالم، واستقلال الفقيه في قول الحق وإقرار المعروف وإدامة العدل في القول والعمل والسلوك والحكم.

سادس عشر: تمكين الأمة الإسلامية في الأرض، ونصرها ... وهذا المقصد الشرعي من سنن الله تعالى في الكون، فيُسخر الله سبحانه أفرادًا وجماعاتٍ من هذه الأمة لحبس بعض أموالهم في سبيل الله تعالى وقفًا على ما يدعم ويقوي ويرفع من شأنها؛ فمن مجالات الوقف التي تدعم التمكين والنصر العلمي والعملية: نشر العلم ودوره وكتبه والاهتمام بطلبة العلم والعلماء، وإقامة مراكز الدعوة إلى الله تعالى في نواحي الأرض وكفالة الدعاة ودعم المشاريع الدعوية المتعددة، وإصلاح الثغور، وإمداد الجيوش وإطعام الجنود والمجاهدين وإمدادهم بما يحتاجونه وإغناؤهم عن غيرهم من المستعمرين أو الغالبيين.

ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إن ظهور هذه المؤسسة الوقفية وانتشارها داخل المجتمعات الإسلامية كفيل بأن تقوم المؤسسات الإسلامية الأخرى. ومن هذا الباب لا بد أن نفهم لم يُصرَّ عدونا علينا بإسقاط كثير من الأوقاف، وتحجيمها، والحد من قدراتها، أو السيطرة عليها؛ لأنهم - في الحقيقة - أدركوا أهميتها في تحقيق هذا المقصد الشرعي والبعد المصلحي.

سابع عشر: هداية العالمين، ودعوتهم إلى الإسلام.

إن من المقاصد لنظام الوقف في الإسلام التي تُخفي على بعض المسلمين والواقفين أموالهم في سبيل الله تعالى هداية العالمين والحرص على ذلك، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة في سائر أنحاء المعمورة؛ وذلك بإقامة المشاريع الدعوية المتتابعة من مخيمات ومراكز وأنشطة ومكاتب دعوية، وإرسال دعاة إلى بلدان نائية، وإقامة جولات دعوية ميدانية، وطبع الكتب الإسلامية باللغات الحية والنشرات والمطويات والعناية بطبع ونشر المصاحف وترجماتها باللغات المتداولة وبناء المساجد والجوامع وإنشاء المراكز الإسلامية الملحقة بالمساجد في دول ليس فيها مسلمون كثر.

وقد نجد في كثير من الدول الإسلامية والعربية والأجنبية الدور البارز الذي يقوم به نظام الوقف في دعم الدعوة الإسلامية، وتحقيق مقصد هداية الناس والمؤلفة قلوبهم، ومن ثم إقبال الناس على دين الله أفواجًا وأفرادًا.

وإنه لدور عظيم نأمل من جميع المسلمين القادرين أن يُوقفوا من خلال أموالهم وعزير ممتلكاتهم على هذا المقصد البالغ الأهمية.

سبق المسلمين في مجال الوقف.¹³

من الجدير بالذكر أن المسلمين سبقوا الغرب بثلاثة عشر قرناً في مجال الأوقاف والمؤسسات الخيرية العامة... مع وجود فروق عظيمة بين الوقفين كنية القرى في الوقف. وامتد هذا العطاء في تاريخ الحضارة الإسلامية على مدار أربعة عشر قرناً، نجد تغلغل الأوقاف في كافة تفاصيل الحياة: أوقاف المساجد، المستشفيات، المدارس، الكتاتيب، الخانات، الفنادق، المكتبات، الكتب، الآبار، وأسبلة الوضوء والشرب، فكاك أسرى المسلمين، الجهاد، القناطر، والجسور، العلماء، الأئمة، المؤذنين، المعلمون، الحرمان الشريفان، المسجد الأقصى، طريق سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة... إلى أوقاف تراعي راحة المسلمين ودواخلهم النفسية؛ مثل وقف يُشترى منه نوع معين من الأسماك لا يأتي إلا مرة واحدة في العام في تونس فيأكل منه الفقراء كما يأكل الأغنياء، أوقاف عامة يستفيد منها المسلمون وأهل الكتاب، بل جاوز الأمر إلى الحيوانات المريضة والعاجزة والجائعة والمتشردة... دار لختان أولاد الفقراء مع إعطائهم كسوة ودراهم، ودار وقف لمن وقع عليه زيت مصباح... يأخذ ما يشتري به ثوبا آخر، وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم، وقف مقابر للمسلمين... أوقاف على العاجزين عن الحج يعطى لمن يحج عن الرجل منهم كفايته، أوقاف على تجهيز البنات إلى أزواجهن اللاتي لا قدرة لأهلهن على تجهيزهن، أوقاف الأواني، أوقاف قفة الخبز، وقف لإعارة الحلبي والزينة في الأعراس والأفراح، وقف دار "الدقة" [التي تدق على يد الزوج الظالم المسيء في معاملته إلى زوجته حتى توقفه عند حده] وهو ملجأ للنساء اللاتي يقع بينهن وبين أزواجهن نفور وبغضاء فيقمن فيها آكلات شاربات حتى يزول ما بينهن وبين أزواجهن من نفور. وقف ميزاب الحلبي وميزاب السكر المذاب للأمهات يومين في الأسبوع قام به صلاح الدين الأيوبي.

(¹³) انظر: روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية. راغب السرجاني. ط/1. 2010م. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. ص/151.

14. من إنجازات الحضارة الإسلامية: المكتبات العلمية.

أنواع المكتبات في الحضارة الإسلامية:

عرفت الحضارة الإسلامية أنواعاً متعددة من المكتبات لم تعرفها أيُّ حضارةٍ أخرى، ولقد انتشرت هذه المكتبات في جميع أرجاء الدولة الإسلامية؛ فوجدت المكتبات في قصور الخلفاء، وفي المدارس والكتاتيب والجموع، وكما أنّها وُجدت في عواصم الإمارات فقد وُجدت كذلك في القرى النائية، والأماكن البعيدة؛ مما يؤكّد على تأصل حبّ العلم لدى أبناء هذه الحضارة .

(14) للتوسع في الموضوع انظر:

المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية. رجي مصطفى عليان. ط/1420هـ-1999م. دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان-الأردن.

المكتبات في الإسلام (نشأتها، تطورها، مصائرها). محمد ماهر حمادة. ط/2. 1398هـ-1978م. مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان.

أهم مظاهر الإسهامات التربوية للمكتبات في الحضارة الإسلامية خلال الدولة العباسية. زينب عابد سويلم اللهيبي. دراسة مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة في الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم. رحيم كاظم الهاشمي. عواطف محمد العربي شنقارو. الدار المصرية اللبنانية القاهرة- المكتبة الجامعية غريان ليبيا. ط/بدون. تاريخ/ بدون. كلية التربية بجامعة أم القرى كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة. الفصل الدراسي الأول 1417هـ.

المكتبات في العصر الإسلامي: نشأتها ونماذج من تاريخها. عمر السنوي الخالدي.

رابط الموضوع: <https://www.alukah.net/culture/0/98108>. تاريخ الإضافة:

2016/1/28 ميلادي - 1437/4/18 هجري. المكثرون من الكتب. عبدالعال سعد الشليّه. رابط الموضوع:

<https://www.alukah.net/culture/0/85790>

ومن جملة ما عرفته الحضارة الإسلاميّة من مكاتب:

1/ المكتبات الأكاديميّة: وهي من أشهر المكتبات في الحضارة الإسلاميّة؛ ومن أهمّها مكتبة بغداد (بيت الحكمة) .

2/ المكتبات الخاصّة: وقد انتشر هذا النوع من المكتبات في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكلٍ واسع وجيّد؛ ومن أمثلتها مكتبة الخليفة المستنصر، ومكتبة الفتح بن خاقان، ومكتبة ابن العميد، وغيرهم كثير.

3/ المكتبات العامّة: وهي مؤسسات ثقافية، يُحفظُ فيها تراث الإنسانيّة الثقافي وخبراتها؛ ليكون في متناول المواطنين من كافّة الطبقات والأجناس، والأعمار، والمهن، والثقافات؛ وكان من أمثلتها: مكتبة قرطبة التي أسّسها الخليفة الأموي الحكم المستنصر سنة (350هـ/ 961م) في قرطبة .

4/ المكتبات المدرسية: حيث أوّلت الحضارة الإسلاميّة اهتمامها لإنشاء المدارس من أجل تعليم الناس جميعاً، وقد ألحقت المكتبات بهذه المدارس، وهو الشيء الطبيعي المكمل لهذا الرقيّ والازدهار، وبشكل عامّ فقد انتشرت المدارس في الإسلام انتشاراً واسعاً في مدن العراق وسوريا ومصر وغيرها، وقد ألحقت بمعظم المدارس الإسلاميّة مكاتب .

5/ مكاتب المساجد والجوامع: ويُعدّ هذا النوع من المكتبات الأوّل في الإسلام؛ حيث نشأت المكتبات في الإسلام مع نشأة المساجد، ومن أمثلتها: مكتبة الجامع الأزهر، ومكتبة الجامع الكبير في القيروان.

من أشهر المكتبات العلمية في التاريخ الإسلامي.

في العصر العباسي ازدهرت حركة التدوين، ونشط التأليف بشكل متحضّر ومنهجيّ، وبالتالي انتشرت المكتبات واتّسعت، ودخلت بعضها في نواذر حكايات التاريخ.

وأشهر هذه المكتبات على الإطلاق: "دار الحكمة"، أو "بيت الحكمة"، وهي أول مكتبة أكاديميّة وعامّة تُقام في البلاد الإسلاميّة، ويُرجع المؤرّخون أوّليّة تأسيسها إلى الخليفة هارون الرشيد، الذي ازدهرت في عصره حركة التأليف والترجمة، والتي كان مقرها دار الحكمة، ترجمت في هذه الفترة الكثير من نفايس العلوم؛ من الفارسية واليونانية ولغاتٍ أخرى، وكانت حركة الترجمة

هذه عظمة؛ حيث لم يشهد مثلها التاريخ من قبل؛ مما حفظ للإنسانية تراثاً قيماً، بالإضافة إلى أنها كانت مقرّ الدرس والمطالعة والبحث، وكانت تُقام بها مناظرات ومناقشات.

وقد تردّد إلى هذه المكتبة بحثاً وتالياً من المشاهير: الفيلسوف الكندي، ومحمد بن موسى الخوارزمي، وقد ضمت كتباً من مختلف العلوم؛ التراث الإسلامي، التراجم والسيرة، كتب الكيمياء، الفلك، الطب والجبر؛ واحتوت على مرصد فلكيّ، وقد وصفها "ديورانت" في كتابه "قصة الحضارة" بأنها مجمع علمي، ومرصد فلكي، ومكتبة عامة.

ولا يجب أن نُهمّل الانعكاس الإيجابي على الاقتصاد؛ لنشاط الحركة العلمية وشراء الكتب ونسخها، فقد ظهرت مهنة جديدة؛ كالمراقة والنسخ - التي هي بمثابة صناعة النشر اليوم - بفضل رواج سوق الكتب، فقد غصّت بغدادُ بدكاكين الوراقين الذين ينسخون الكتب ويبيعونها للناس، وقد اشتهرت بغداد بعدد مكتباتها؛ حيث يقال: إنَّها بلغت 100 مكتبة، فأصبحت بغدادُ قبلة العلم آنذاك.

وتعدُّ مكتبة بيت الحكمة أكبر مكتبات العصر العباسي، ظلَّت الخزانة قائمةً يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم، حتى وقع استيلاء المغول على بغداد سنة 656هـ؛ حيث نهبوا وخربوا، وألقوا بالآلاف من المخطوطات في النهر، فأصبحت مياه النهر سوداء من لون المداد! وبذلك ضاع جزء كبير من تاريخ وذاكرة الإنسانية في هذه الواقعة ووقائع مشابهاة.

كثرة عدد المكتبات في الحضارة الإسلامية.

سبقت الإشارة إلى أن بغداد وحدها فقط ضمت مائة (100) مكتبة، وفي زمن المستنصر بالله في قرطبة وحدها سبعون (70) مكتبة من المكتبات العامة.

فقد أورد عمر رضا كحالة تعريفاً لأكثر من أربع مائة وخمسين خزانة كتب ضخمة في مراكز الحضارة الإسلامية.¹⁵

ولعل من مفاخر المسلمين في هذا الباب أن كثيراً من خزائن الكتب في الأديرة والمعابد والكنائس لا تزال إلى اليوم عامرة بكتبهم... لم يصبها سوء رغم كل ما تقلب على البلاد من حوادث وكوارث.

(¹⁵) انظر: سلسلة حضارة العرب والإسلام، عمر رضا كحالة. وللإستزادة راجع: تاريخ التراث العربي. فؤاد سزكين.

وهذا يكشف عن أمرين اثنين:

الأول: مدى حرص المسلمين على العلم واحترامهم له أيا كان مضمونه ووجهة مقاصده.

الثاني: مدى التسامح الديني الذي كان يعيش فيه أهل الذمة في الحواضر الإسلامية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الماضي المكتبي والسبيلوغرافي الرائع الذي نتغنى به اليوم لم يعد اليوم كما كان بالأمس، فقد سرقت أكثر المخطوطات الإسلامية، وأودعت في المكتبات الأوربية وبمقارنة بسيطة يمكن أن نفهم الفرق بين الفتح الإسلامي والاستعمار الأوربي، ففي حين كان الأول متحا تحريريا حافظ على حياة الناس وأموالهم وتراثهم وأمجادهم وافسح لهم المجال ليتعلموا ويعلموا ويحفظوا نفائسهم ويثروا مكاتبهم، كان الثاني استعمارا استغلاليا مارس تجهيل الشعوب وإفقارها، وسرق تراثها ليضيفه إلى أمجاده زورا وبهتانا.

إن غنى الحواضر الإسلامية أو فقها بالكتاب والتراث يرتبط بشكل ظاهر بالمدة التي جثم فيها الاستعمار الأوربي على مقدرات الشعوب وخيراتها.

إن الجزائر المحمية بحماية الله تعالى استعمرتها فرنسا مائة واثنين وثلاثين عاما تعد من أفقر الحواضر الإسلامية عموما بكتب التراث رغم أنها كانت في التاريخ مركزا حضاريا قويا لنشاط الأدارسة والفاطميين والمرابطين والموحدين.

إن القسم الأكبر من الكتب الإسلامية موجود اليوم في مكتبات أوربا تقوم هذه المكتبات دوما بإعداد فهراس للكتب العربية الموجودة لديها.

أشهر المكتبات التي تحوي نفائس عربية.

1/ مكتبة الأسكوريال في مدريد بإسبانيا.

2/ المكتبة الفاتكانية بإيطاليا.

3/ مكتبة برلين بألمانيا.

4/ مكتبة كامبردج ببريطانيا.

5/ مكتبة شسترتي ببريطانيا.

6/ مكتبة ليدن بهولاندا.

وقد قام كارل بركلمان، ومن بعده فؤاد سزكين بمحاولات لإحصاء كل المخطوطات العربية في المكتبات العالمية.

نشر الأول عمله في كتاب: تاريخ الأدب العربي وهو في ستة مجلدات.

ونشر الثاني عمله في كتاب: تاريخ التراث العربي وهو في مجلدين كبيرين.

مفارقات عجيبة بين المكتبات في الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية.

أبو القاسم صاحب بن عبّاد وزير فخر الدولة بالرّي:

قال عنه ابن الأثير: ((وكان واحدَ زمانه عِلْمًا وفضلاً، وتديباً وجودةً رأي، وكرمًا، عالِمًا بأنواع العلوم، عارِفًا بالكتابة وموادّها، ورسائله مشهورة مدوّنة، وجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره، حتى إنه كان يَحْتَاج في نقلها إلى أربعمئة جمل))¹⁶.

وحكي عن صاحب بن عبّاد أنّ بعضَ الملوك أرسل إليه القدومَ عليه، فقال له في الجواب: أحتاج إلى ستين جملًا أنقل عليها كتب اللغة التي عندي.¹⁷

وقال (ول ديورانت): ((وكان عندَ بعض الأُمراء كالصاحب بن عباد من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوربيّة مجتمعة))¹⁸.

ومن أشهر المكتبات في الأندلس هي خزانة قصر الزهراء في قرطبة، وقد أسسها المستنصر بالله فأنفق فيها أموالاً طائلة حتى اجتمع له ما يقرب من أربعمئة ألف (400.000) مجلد.

ذكر المقرّي: أنه جمع (أي: المستنصر بالله) من الكتب ما لا يُحَدُّ ولا يوصف كثرةً ونفاً حتى قيل: إنّها كانت أربعمئة ألف مجلد، وإنهم لما نقلوها أقاموا ستّة أشهر في نقلها.¹⁹

¹⁶ (الكامل في التاريخ (5/ 510، سنة 385).

¹⁷ (المزهر في علوم اللغة وأنواعها؛ للسيوطي (1/ 74)، السير (16/ 513، رقم 377).

¹⁸ (قصة الحضارة (13/ 171).

¹⁹ (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب. 1/ 395).

وفي المقابل فإنَّ ملك فرنسا شارل الخامس المعروف بالحكيم، عندما أراد أن يؤسس مكتبة في أواخر القرن الرابع عشر ميلادي لم يستطع أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكيّة أكثر من 900 مجلد، يكاد ثلثها يكون خاصًا بعلم اللاهوت.²⁰

منجزات أخرى للحضارة الإسلامية.

لم تقتصر منجزات الحضارة الإسلامية على الإسهامات والاختراعات في ميادين العلوم النظرية والتجريبية؛ بل تعدتها إلى ميادين أخرى كالميدان الاجتماعي والسياسي، والحقوق والحريات... وحتى لا أثقل كاهل هذه المذكرة فسأشير إلى محتويات كتاب مهم في هذا الصدد أحسبه يكفي في هذا المقام.²¹

(²⁰) المكتبات في الإسلام (نشأتها، تطورها، مصائرها). محمد ماهر حمادة. ط/2. 1398هـ-1978م. مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان. ص/211.

(²¹) للتوسع انظر: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ص/405. أسماء الأطباء والفلكيين... مهم. ص/428. نظرة الإسلام إلى الطب الرياضيات الفلك... مهم. ص/438. أبرز الاختراعات لعلماء المسلمين. مهم جدا.

أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية. أحمد علي الملا. ط/2. 1981/1404. دار الفكر دمشق. 132-210 العلوم الطبية الرياضية والطبيعية والاجتماعية والعقلية.

الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس. ط/1. 1431هـ/2010م. الصحوة للنشر والتوزيع. ص/131. إسهامات المسلمين في العلوم الإنسانية : الأدب. الفلسفة. علم مقارنة الأديان. التاريخ والجغرافيا. الفنون. ص/179. إسهامات المسلمين في العلوم التطبيقية: الرياضيات. الفلك. الطب الوقائي والعلاجي. الكيمياء. الفيزياء. علم النبات والحيوان والأرض.

المسلمون وعلوم الحضارة. محمد حبش. ط/1. 1412هـ-1992م. دار المعرفة نشر-توزيع-طباعة-ترجمة. دمشق. قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام: 1/ العلوم التراثية: البيولوجيا، الترجمة. 2/ العلوم الكونية: علم الطب. الصيدلة. الأحياء. الكيمياء. الفيزياء. الملاحة(البحار)، الرياضيات، الفلك، الجغرافيا، الجيولوجيا، العيافة(الأحافير)، القيافة(الأحافير). 3. العلوم الاجتماعية: السياسة، الاقتصاد، التجارة، القانون، التربية، مقارنة الأديان. المسيحية والحضارة العربية، جورج شحاته قنواني. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط/بدون. تاريخ/بدون.

مساهمة العلماء المسيحيين في تعريب التراث اليوناني وفي حركة النهضة إبان الخلافة العباسية. ص/99-109. مهم. ذكر المترجمين والكتب المترجمة في العلوم: الفلسفة، الطبيعيات، الإلهيات، كتب الطب وفروعه، كتب أبقراط، كتب جالينوس، كتب الرياضيات والنجوم وسائر العلوم.

الكتاب هو: ماذا قدم المسلمون للعالم؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ط/2. 1430هـ-2009م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. الحائز على جائزة مبارك للدراسات الإسلامية.

1/ إسهامات المسلمين في جانب الحقوق: حقوق الإنسان. حقوق المرأة. حقوق الخدم والعمال. حقوق المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة. حقوق اليتيم والمسكين والأرملة. حقوق الأقليات. حقوق الحيوان. حقوق البيئة. ص/63.

2/ إسهامات المسلمين في جانب الحريات: حرية العقيدة. حرية التفكير. حرية الرأي. حرية النفس. حرية التملك. ص/94.

3/ إسهامات المسلمين في جانب الأسرة. الزوجان. الأولاد. الوالدان. الرحم. ص/110.

4/ إسهامات المسلمين في جانب المجتمع. المؤاخاة. التكافل. العدل. الرحمة. ص/127.

5/ إسهامات المسلمين في جانب العلاقات الدولية: الأصل في الإسلام السلام. المعاهدات مع غير المسلمين. أسباب وأهداف الحرب في الإسلام. أخلاقيات الحرب في الإسلام. ص/146.

6/ إسهامات المسلمين في علوم الحياة. ص/253.

1/ تطوير العلوم المتداولة: الطب. الفيزياء. البصريات. الهندسة. الجغرافيا. الفلك. ص/255.

2/ ابتكار علوم جديدة: الكيمياء. الصيدلة. الجيولوجيا. الجبر. الميكانيكا. ص/304.

7/ إسهامات المسلمين في جانب العقيدة والفكر والأدب: ص/333.

1/ في التصور العقدي.

2/ تطوير العلوم المتداولة: الفلسفة. التاريخ. الأدب.

دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل. ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق. 85. إسهامات العرب المسلمين في العلوم التطبيقية. 95. الطب عند العرب.

فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية. عز الدين فراج. ط/بدون. 1423هـ-2002م. دار الفكر العربي للطبع والنشر. القاهرة. 47. فضل علماء المسلمين في علوم الكيمياء والطبيعة. 59. العلوم النباتية والزراعية. 67. العلوم الرياضية. 74. علوم الفلك. 84. الفيزياء والميكانيكا. 88. أثر ح س في تقدم الصناعة. 104. علم الجغرافيا... 113. علوم البحار والأساطيل البحرية... 124. اختراع البارود والأسلحة النارية... 129. علم الطب. 181. الصيدلة. 187. الحمامات: أوربا تقلد المسلمين في إقامة الحمامات. 197. فن العمارة... 247. المكتبات الإسلامية. 205. المساجد الجامعية.

- 3/ ابتكار علوم جديدة: علم الاجتماع. علوم خاصة بالشريعة. علوم خاصة باللغة.
 - 8/ إسهامات المسلمين في المؤسسات والنظم في الحضارة الإسلامية. ص/403.
 - 1/ الخلافة والإمارة: علاقة الحكام بعموم الناس. إسهامات المسلمين النظرية في نظام الحكم. علاقة الحاكم والمحكوم في الحضارة الإسلامية. ص/405.
 - 2/ الوزارة: إسهامات المسلمين النظرية في نظام الوزارة. ص/454.
 - 3/ الدواوين: الرسائل والإنشاء. الجند والعطاء. الأوقاف. البريد والاتصالات. بيت المال. الشرطة. الحسبة. الجيش. ص/467.
 - 4/ القضاء: ...ابتكار الوسائل التي تكفل العدل للقاضي... ظهور القضاء المتخصص... نشأة ديوان المظالم وتطوره... ص/537.
 - 5/ المؤسسة الصحية: المستشفيات في الحضارة الإسلامية . المرضى والبعد الإنساني عند المسلمين. ص/573.
- وتحت هذه العناوين من التفاصيل الشيء الكثير الذي يجلي إسهام الحضارة الإسلامية في كل جوانب الحضارة الثقافية والمدنية.

المحاضرة السادسة (06):

منجزات الحضارة الإسلامية [الجزء الثاني]

ثلة من الأعلام،

أسهموا في منجزات الحضارة الإسلامية. (19 علما).

ثلة من الأعلام، أسهموا في منجزات الحضارة الإسلامية.²²

لقد كان من وراء هذه الإنجازات التي أشرنا إليها إشارات بحسب ما يتناسب مع مادة هذه المذكورة علماء أعلام، سجلوا بصماتهم في تاريخ الإسلام وحضارته، ولقد رأيت من المناسب أن أختتم موضوع إنجازات الحضارة الإسلامية بذكر مجموعة منهم مع تسجيل أهم إسهاماتهم العلمية. ولا أتقيد بترتيب تاريخي، وأكثر من يرد ذكره إنما هو في العلوم النظرية والتطبيقية، وخاصة الطب.

(ابن سينا)

الحسين بن علي

[ت: 428هـ، 1036م]

1/ أهم إسهامات ابن سينا الطبية:

أ/ ابتكر أول مخدر قبل الجراحة وسماه المرقد.

ب/ ابتكر أول جراحة للأعصاب المقطوعة.

ج/ وصف عضلات العين وأعصابها ووظائفها.

د/ اخترع الحقنة لإعطاء الأدوية تحت الجلد وسمها (الزراقة).

هـ/ اكتشف مرض شلل الوجه وميز بينه وبين الشلل من الدماغ.

ز/ اكتشف الدودة المستديرة (الانكلستوما) قبل دوييني الإيطالي الذي توفي سنة 1838م (أي قبل ثمانية قرون).

ح/ كتاب القانون في الطب:

وهو موسوعة طبية ضافية، ويمثل القمة العلمية التي وصلت إليها الحضارة العربية الإسلامية

في فنون الطب من حيث التجربة أو النقل.

(²²) اكتفيت بما جاء في كتاب: شخصيات صنعت تاريخنا. إسهامات العلماء العرب والمسلمين في الحضارة الإنسانية. محمود سلامة الهايشة. وللتوسع في هذا الموضوع يُنظر: لوحات مضيئة في الحضارة العربية الإسلامية. شوقي أبو خليل، نزار أباضة. ط/1. 1427هـ-2007م. دار الفكر. دمشق. ماذا قدم المسلمون للعالم؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ط/2. 1430هـ-2009م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة.

اشتهر هذا الكتاب في أوروبا إبان العصور الوسطى، وكان الكتاب المدرسي المقرر في الطب في جامعتي مونبلييه ولوفان في منتصف القرن السابع عشر الميلادي. ترجمه إلى اللاتينية جيرارد الكريموني، وطبعت ترجمته 16 مرة خلال الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر الميلادي (15م)، و 20 مرة في القرن السادس عشر (16م). وطبع بالعربية مرتين أولاهما في روما عام 1593م والثانية في بولاق بمصر سنة 1294هـ، 1877م.

(ابن الشاطر)

أبو الحسن علي بن إبراهيم

[ت: 777هـ - 1375م]

برع ابن الشاطر في علمي الهندسة والحساب، ولكنه لم يلبث أن اتجه إلى علم الفلك فأبدع فيه.

من إسهاماته:

أ/ ابتكاراته للعديد من الآلات مثل الإسطرلاب، وصنع آلة لضبط وقت الصلاة سماها "البسيط" ووضعها في إحدى مآذن المسجد الأموي في دمشق.

ب/ كما قام بتصحيح للمزاول الشمسية التي بقيت تتداول لعدة قرون في كل من الشام ومصر والدولة العثمانية، وكانت مرجعا لضبط الوقت في العالم الإسلامي.

ج/ كما قام تلبية لرغبة الخليفة العثماني مراد الأول بتأليف زيج يحتوي على نظريات فلكية ومعلومات جديدة. ومن ذلك قياسه زاوية انحراف دائرة البروج، وانتهى إلى نتيجة غاية في الدقة وهي 23 درجة و 31 دقيقة، علما بأن القيمة المضبوطة التي توصل إليها علماء القرن العشرين بواسطة الآلات الحاسبة هي 23 درجة و 31 دقيقة و 19.8 ثانية.

د/ تصحيحه لنظرية بطليموس التي ترى خطأ أن الأرض هي مركز الكون، وأن الأجرام السماوية تدور حول الأرض دورة كل 24 ساعة. وكان العالم كله في عهد ابن الشاطر يعتقد بصحة هذه النظرية التي لا تحتمل جدالا.

هـ/ ولقد أشار ابن الشاطر إلى أن الأرض والكواكب المتحيرة هي التي تدور حول الشمس بانتظام، والقمر يدور حول الأرض. وعلل ذلك بقوله: "إنه إذا كانت الأجرام السماوية تسير من الشرق إلى الغرب، فالشمس إحدى هذه الكواكب تسير، ولكن لماذا يتغير طلوعها وغروبها؟ وأشد من ذلك أن هناك كواكب تختفي وتظهر سموها الكواكب المتحيرة. لذا الأرض والكواكب المتحيرة تدور حول الشمس بانتظام، والقمر يدور حول الأرض".

(ابن الهيثم)

[ت: 430 هـ - 1039 م]

أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم ويلقب ببطليموس الثاني، رياضي، مهندس، طبيب، حكيم.

أ/ إن كتاب المناظر كان ثورة في عالم البصريات، فابن الهيثم لم يتبن نظريات بطليموس ليشرحها ويجري عليها بعض التعديل، بل إنه رفض عدداً من نظرياته في علم الضوء، بعدما توصل إلى نظريات جديدة غدت نواة علم البصريات الحديث. ونحاول فيما يلي التوقف عند أهم الآراء الواردة في الكتاب:

ب/ زعم بطليموس أن الرؤية تتم بواسطة أشعة تنبعث من العين إلى الجسم المرئي، وقد تبني العلماء اللاحقون هذه النظرية. ولما جاء ابن الهيثم نسف هذه النظرية في كتاب المناظر، فبين أن الرؤية تتم بواسطة الأشعة التي تنبعث من الجسم المرئي باتجاه عين المبرص.

ج/ بعد سلسلة من اختبارات أجراها ابن الهيثم بين أن الشعاع الضوئي ينتشر في خط مستقيم ضمن وسط متجانس.

د/ اكتشف ابن الهيثم ظاهرة انعكاس الضوء، وظاهرة انعطاف الضوء أي انحراف الصورة عن مكانها في حال مرور الأشعة الضوئية في وسط معين إلى وسط غير متجانس معه. كما اكتشف أن الانعطاف يكون معدوماً إذا مرت الأشعة الضوئية وفقاً لزاوية قائمة من وسط إلى وسط آخر غير متجانس معه.

هـ/ وضع ابن الهيثم بحثاً في ما يتعلق بتكبير العدسات، وبذلك مهّد لاستعمال العدسات المتنوعة في معالجة عيوب العين.

و/ من أهم منجزات ابن الهيثم أنه شرّح العين تشريحاً كاملاً، وبين وظيفة كل قسم منها.
 ز/ توصل ابن الهيثم إلى اكتشاف وهم بصري مراده أن المبصر، إذا ما أراد أن يقارن بين بعد جسمين عنه أحدهما غير متصل ببصره بواسطة جسم مرئي، فقد يبدو له وهماً أن الأقرب هو الأبعد، والأبعد هو الأقرب. مثلاً، إذا كان واقفاً في سهل شاسع يمتد حتى الأفق، وإذا كان يبصر مدينة في هذا الأفق (الأرض جسم مرئي يصل أداة بصره بالمدينة)، وإذا كان يبصر في الوقت نفسه القمر مطلقاً من فوق جبل قريب منه (ما من جسم مرئي يصل أداة بصره بالقمر)، فالقمر في هذه الحالة يبدو وهماً أقرب إليه من المدينة.

ح/ وقد اكتشف ابن الهيثم وظائف كل طبقة من العين وبين أخطاء السابقين في هذا الميدان ... وشرح طبيعة الإبصار ومسار أعصاب العين وتقاطعها قبل الوصول إلى المخ فكان ذلك فتحاً مبيناً لمن جاء بعده. وعن طريق ابن الهيثم دخلت الكلمات العربية في طب العيون اليوم من ذلك كلمة Cornia أصلها عربي وهو قرنية.

ط/ اختراعات ابن الهيثم: أول من اخترع كاميرا في التاريخ وسماها الخزانة المظلمة ذات الثقب، وأول من اخترع النظارة للقراءة.

(أبو جعفر الخازن)

محمد بن الحسين [ت: 349هـ - 960م]

ومن أهم إنجازات أبي جعفر الخازن في علم الفلك.

أ/ أنه أبدع نظرية في شكل الكون وتركيبه.

ب/ وقد وضع تفسيراً لحركة الكواكب في تقدمها وتباعدها، وتفسيراً عن اختلاف مطالع القسي (جمع قوس) المتساوية في كتابه: المدخل الكبير إلى علم النجوم.

ج/ وقد ناقش كذلك في كتابه هذا لأول مرة نظرية ابن الهيثم في تكوين النجوم، وبين أنه اعتمد على فروض بطليموس التي ترجمها ثابت بن قرّة، وناقشها أيضاً في كتابه الآخر: سر العالمين.

د/ ووضع طرائق لتعيين أول محرم وأول السنة الهجرية، وبعض المسائل في علم التواريخ.

هـ/ وقد بين في كتابه "سر العالمين" رأيه في شكل العالم وهو يختلف عنده عن الشكل الذي يقوم على الفلك الخارج المركز، وفلك التدوير وتتساوى فيه أبعاد الأرض عن الشمس مع اختلاف الحركة فتصير - لذلك - ناحيتا الشمال والجنوب متكافئتين في الحر والبرد، ودرس التسيير وآلته. و/ وضع أبو جعفر الخازن شرحا لبعض آلات الرصد الفلكية ومن أهمها آلة قياس ارتفاع الشمس. ز/ وابتكر حلقة محيطها 13 قدما ثماني أذرع، وهذه الحلقة أصغر من الحلقة التي استخدمها السابقون عليه. وحقق بواسطة هذه الحلقة انحراف دائرة البروج وكان ذلك بمساعدة طائفة من العلماء، وقد تحدث عنها في كتابه: الآلات العجيبة الرصدية.

من أهم إنجازات أبي جعفر الخازن في علم الرياضيات.

أ/ أنه ممن حل المعادلات التكعيبية حلا هندسيا بواسطة قطوع المخروط وسبق بذلك بيكر وديكار. في كتابه: شكل القطوع، ودرس في الحساب مسائل العدد.

ب/ وأوجد أبو جعفر الخازن حلا لمسألة تعرض لها أرشميدس بواسطة معادلة تكعيبية.

ج/ كتب في حساب المثلثات، وحل بعض المسائل الخاصة بحساب المتوازيات.

أبو القاسم الزهراوي

[ت:404هـ]

(شيخ الجراحين المسلمين ورائد علم الجراحة الحديثة في العالم)

أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، نسبة إلى مدينة الزهراء التي بناها أمويو الأندلس إلى الغرب الشمالي من مدينة قرطبة،

أهم إسهامات الزهراوي الطبية.

أ/ قد ألف أول كتاب مختص في الجراحة سماه (التصريف لمن عجز عن التأليف)، هو أول موسوعة في الجراحة والطب وتتكون من ثلاثين جزءا، وقد ترجمت وطبعت عدة مرات.

ب/ وبفضل الزهراوي تطورت الجراحة في الأندلس والعالم الإسلامي تطورا سريعا فظهرت أجيال من الجراحين المختصين في الجراحة العامة.. ومنهم ابن أسلم الغافقي الذي عاش في الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي وهو أول من أجرى عملية للماء الأزرق Glucoma بواسطة إبرة مجوفة، وغيرهم كثيرون.

ج/ لم يكن الزهراوي جراحاً ماهراً فحسب، بل كان حكيماً ذا خبرة واسعة. وقد أفرد قسماً مهماً من كتابه الكبير المعروف باسم (الزهراوي) لأمراض العين، والأذن، والحنجرة، وقسماً مهماً لأمراض الأسنان، واللثة، واللسان، وأمراض النساء، وفن الولادة، والقبالة، وباباً كاملاً للجبر، وعلاج الفك والكسر.

د/ اخترع الزهراوي آلة جديدة لشفاء الناسور الدمعي، وعالج عدداً من الأمراض بالكي مثل الآكلة، والنزف.

هـ/ والزهراوي هو أول من اكتشف ووصف نرف الدم المسمى (هيموفيليا).

و/ وصف الزهراوي عشرين عملية جراحية في العين.

ز/ وكان أثر الزهراوي عظيماً في أوروبا، فقد ترجمت كتبه إلى لغات عديدة، ودرست في جامعات أوروبا الطبية. واقتفى أثره الجراحون الأوربيون، واقتبسوا عنه، حتى أنه في كثير من الأحيان انتحلوا بعض اكتشافاته من دون أن يذكره كمصدر أولي.

ح/ وكان مؤلفه الكبير المرجع الأمين لأطباء أوروبا من أوائل القرن الخامس عشر إلى أواخر الثامن عشر. فإذا علمنا أن كتاب الزهراوي كان يترجم في أوروبا ويدرس بشتى اللغات منذ عام 1497م (وهي أول ترجمة) حتى عام 1771 م لعلمنا فضل المسلمين في هذا الميدان.

ط/ أول من ابتدع جراحة الأوعية الدموية مثل خياطة الشرايين في حالة قطعها أو ربطها في حالة النزيف. كما ابتدع عملية قطع الشريان الذي في الاصداع مداوة الصداع المتكرر (Migrain).

ي/ أدخل استعمال الحرير في خياطة الجروح وأسلاك الذهب في تقويم الأسنان والخيطان المأخوذة من أمعاء القطط في خياطة المصارين وهو أول من ابتكر الخياطة التجميلية .

ك/ ابتكر الكثير من الآلات الجراحية التي لم تكن معروفة من قبل ورسم صورها وأحجامها والمادة التي تصنع منها.. ومن ذلك أنواع الصنانير لقطع اللوز والأورام وأنواع المكاوي للكي والكلاليب لخلع الأسنان .

ل/ ابتكر العديد من العمليات الجراحية الرائدة مثل: حصوة المثانة، واستئصال اللوزتين، وتقويم الأسنان، وشق الحنجرة للتنفيس [عملية فتح الحنجرة (القصبه الهوائية) وهي العملية التي أجزاها على أحد خدمه].

م/ وطور علم الكي الذي اختص به العرب منذ الجاهلية، ووضع له قواعد علمية، وحدد الأمراض التي نجح فيها كما ابتكر له عدة مكاو من معادن مختلفة.

إسهامات الزهراوي في فروع الجراحة.

وسوف نتناول هنا بعض العمليات الجراحية في كل فرع من فروع الجراحة مع التركيز على ما جاء في كتاب التصريف للزهراوي وتعاليمه في هذه الميادين. وترجم الكتاب إلى العبرية واللاتينية عام 901هـ، 1495م واستراسبورج عام 939هـ، 1532م، وبال عام 948هـ، 1541م.

أولا: جراحة الأوعية الدموية:

أ/ يعتبر الزهراوي أول من ابتكر هذا النوع من الجراحة فابتكر خياطة الشريان إذا تعرض للجرح أو التتهتك.. وذلك بخيوط من الابرسم (أو الحرير) أو من أوتار العود.

ب/ وقبل عصر جراحة الشرايين كان الجراحون يضطرون إلى بتر العضو أو كي الشريان لإيقاف النزيف:

فقد ابتكر الزهراوي [ت:1013م] عملية قطع الشريان الذي في الأصدغ لعلاج الصداع المتكرر (Migraine). ويدعى الغربيون أن (جون هنتر) [ت: 1793م] كان أول من ابتكر جراحة الشرايين وأول من عالج التمدد الشرياني بالجراحة (Aneurism).

وإذا كانت أوربا تعتبر الجراح (جون هنتر) صاحب أكبر فضل على الجراحة لهذا السبب ... فإن الأولى بهذا الشرف هو الزهراوي الذي جاء قبل (هنتر) بسبعة قرون.

ج/ والواقع أن الزهراوي هو أول من قام بهذه العملية في التاريخ.. وسمى الأنورزم (نفخ الشريان) وبين أسبابه؛ فقال "إذا جرح الشريان والتحم الجلد الذي فوقه فكثيرا ما يعرض من ذلك ورم نتيجة لنفخ الشريان أي أن أحد الأسباب الرئيسية هي الإصابة (Trauma) ويشرح العملية قائلا "شق عليه في الجلد شقا بالطول ثم افتح الشق بصنارات ثم اسلخ الشريان وخلصه من الصفاقات حتى يتكشف ثم تدخل تحته إبره وتنفذها إلى الجانب الآخر وتشد الشريان بخيط مثنى في موضعين ثم تنخس بمبضع الموضع الذي بين الرباطين حتى يخرج الدم الذي فيه ويتصل الورم".

ثانيا: جراحة السرطان:

لقد وضع المسلمون القواعد الرئيسية لجراحة السرطان: فلخصها ابن سينا في كتابه القانون بأنها الاكتشاف المبكر- الجراحة المبكرة- الاستئصال التام. بينما يتناول الزهراوي علاج السرطان؛ فيقول "متى كان السرطان في موضع يمكن استئصاله كله كالسرطان الذي يكون في الثدي أو في الفخذ ونحوهما من الأعضاء المتمكنة لإخراجه بجملته ولا سيما إذا كان مبتدئ صغيراً فافعل. أما متى قدم فلا ينبغي أن تقربه فإني ما استطعت أن أبرئ منه أحدا ولا رأيت قبلي غيري وصل إلى ذلك " ثم يصف العملية فيقول "ثم تلقى في السرطان الصنانير التي تصلح له ثم تقوره من كل جهة مع الجلد على استقصاء حتى لا يبقى شيء من أصوله واترك الدم يجري ولا تقطعه سريعا بل اعصر المواضع ما أمكنك.

وما زالت هذه القواعد الرئيسية لجراحة السرطان في العصر الحديث.

ثالثا: جراحة الغدة الدرقية Thyroid:

أ/ وقد سماها الزهراوي "فيلة الحلقوم" وهي عملية لم يجرؤ أي جراح في أوربا على إجرائها إلا في القرن التاسع عشر على يد الجراح هالستد Halstead ، أي بعد الزهراوي بتسعة قرون.
ب/ وقد فصل الزهراوي هذه العملية بعد أن شرح أنواع الورم وما يصلح منها للجراحة وما لا يصلح أو (يحظر فيه استعمال الحديد) وفي هذا يقول "هذا الورم يسمى فيلة الحلقوم ويكون ورما عظيما على لون البدن وهو في النساء كثير... وهو على نوعين إما يكون طبيعيا وإما يكون عرضيا. فأما الطبيعي فلا حيلة فيه وأما العرضي فيكون على ضربين أحدهما شبيه بالسلع الشحمية والنوع الآخر شبيه بالورم الذي يكون من تعقد الشريان وفي شقة خطر فلا تعرض لها بالحديد البتة".

رابعاً: جراحة البطن والأمعاء:

أ/ لقد فصل الزهراوي أوضاع المريض في جراحة الأمعاء فبين أنه لا بد من وضعه على سرير مائل الزاوية فإذا كانت الجراحة في الجزء السفلي من الأمعاء وجب أن يكون الميل ناحية الرأس.. والعكس صحيح والهدف من ذلك الإقلال من النزيف أثناء العملية والتوسعة ليد الجراح.

ب/ وبذلك يكون الزهراوي أول من ابتكر الوضع الذي ينسب اليوم إلى (وضع ترندلبرج، وترندلبرج العكسي).

ج/ يتناول الزهراوي جراحة الأمعاء والمصارين وحياطتها بالخيط الرفيع الابرسم (أي الحرير)، أو بأوتار العود.

د/ وقد اخترع آلة لتوسيع فتحة البطن للجراحة تشبه الصولجان الصغير تكون وجهتها المعوجة محددة (أي حادة) ووجهتها الأخرى غير محددة.

هـ/ وهو أول من نبه إلى أهمية تدفئة الأمعاء عند خروجها من البطن إذا تعسر ردها بسرعة، وذلك بالماء الدافئ حتى لا تصاب بالشلل.

و/ وكذلك ابتكر الزهراوي عددا من الغرز الخاصة بالمصارين وأشهرها ما يعرف اليوم purse string، وسماها "خياطة الأكيسة التي يشد بها المتاع" وهي المستعملة اليوم في عملية الزائدة الدودية والقرحة والجراحة النافذة في المصارين؛ ويشرح الزهراوي جراحة الفتق Herniotomy ويبين الفروق التشريحية بين أنواع الفتق واختلاف العملية تبعا لذلك.

خامساً: جراحة المسالك البولية:

أ/ وقد أحدث الزهراوي ثورة في هذا الميدان.. فهو أول من ابتكر (الزراعة) لغسيل المثانة وإدخال الأدوية لعلاجها من الداخل وهي التي تطورت وأصبحت حقنة الغسيل syringe وإذا وضعت في مقدمتها الإبرة أصبحت الحقنة لإعطاء الأدوية تحت الجلد أو في العضل.

ب/ كما ابتكر الزهراوي عملية (تفتيت حصاة المثانة) قبل إخراجها فيقول في ذلك "فإن كانت الحصاة عظيمة جدا فإنه من الجهل أن تشق عليها شقا عظيما لأنه يعرض للمريض أحد أمرين: إما أن يموت أو يحدث له تقطير في البول والأفضل أن يتحايل في كسرها بالكلايب ثم تخرجها قطعاً"؛ وهي أول عملية في التاريخ في هذا المجال؛ وما زالت الأسماء العربية التي أطلقها الزهراوي

على هذه الآلات مستعملة في الطب الحديث في أوروبا اليوم، فمن ذلك كلمة Clamp أصلها العربي كلاب، وجمعها كلاليب scalpels .

سادساً: الولادة وأمراض النساء:

بديهي وقد بلغ المسلمون هذا الشأن العظيم في الجراحة العامة والخاصة. أن يرتقي على أيديهم علم الولادة وأمراض النساء، لقد عرف المسلمون عملية الولادة (القيصرية) وصوروا العلماء المسلمين وهم يجرونها في المخطوطات العربية، وشرحوا طريقتها وأسبابها.. كذلك برعوا في معالجة الولادات العسرة.

أ/ ابتكر الزهراوي أساليب جديدة للولادة في حالة "تقدم الأرجل من باب الرحم على الرأس"، أو الوضع بالمقعدة Breech ، أو الوضع الوجهي تقدم الوجه من باب الرحم على غيره من الأعضاء Face، وقد ابتكر أنواعاً من الآلات لتسهيل الولادة.. منها جفوت لسحب الجنين من الرأس. كما ابتكر مرآة خاصة للمهبل وآلة لتوسيع باب الرحم.

ب/ أول من اخترع الملقط (Forceps) الذي صنعه من الخشب وسماه (ملقط التوليد) واستعمله لسحب رأس الجنين لتسهيل الولادة وذلك قبل (جمبرلين) الإنجليزي بمئات السنين. ج/ أول من اخترع فكرة المنظار لفحص عنق الرحم ورسمه في كتابه التصريف.. واستعمل المرأة تحت المرأة ليرى كل شيء على هيئته.

د/ أول من ابتكر طريقة الولادة بالحوض في حالة ما إذا كان وضع الجنين غير طبيعي.

هـ/ أول من ابتكر الوضع المسمى في الطب الحديث walcher position ، وهو استلقاء المرأة على ظهرها وفخذاها على حافة الكرسي والرجلان متدلّيتان وهو الوضع الأمثل لتيسير الولادة.

سابعاً: الجراحة التجميلية:

أ/ المسلمون أول من أجرى عمليات التجميل في العيون والأنف والأسنان، وكان الزهراوي ينصح الجراح بالتعليم بالمداد على الجلد قبل شقه؛ لتحقيق أكبر قدر من الدقة، كما وصف أنواعاً من الخياطة والإبر والخيوط، التي لا تترك أثراً كبيراً في الجلد، وابتكر خياطة الجلد من الداخل حتى لا

تترك الخياطة أثرا مرئيا ... وهو أحدث فن في الجراحة التجميلية. وابتكر التدريز المثلث أي: الخياطة من ثمانية جهات في جراحات البطن، والخياطة بإبرتين وخيط واحد مثبت بهما. ب/ وقد وصف عمليات تشمير العين، وعلاج قصر الجفون (الشترة)، وعمليات كثيرة في الأنف، وفي الفصل من باب جراحة الأسنان يصف الزهراوي أول عملية لتقويم الأسنان في تاريخ الطب والذي أصبح علما مستقلا ... فيتحدث عن نشر الأضراس الثابتة على غير مجراها ... وعن تعديل الأسنان بربطها بخيوط الذهب ... أو الفضة، وهي طريقة أصبحت تستعمل اليوم في علاج كسور الفك وعظام الوجه.

ج/ وقد ابتكر المسلمون أول جراحة في التاريخ لنقل الأعضاء أو تعويضها، فيصف الزهراوي تعويض الضروس المخلوعة (فينحت عظم من عظام البقر فيصنع منه كهيئة الضرس ويجعل الموضع الذي ذهب منه الضرس ويشد مع الضروس الأخرى).

(عبد اللطيف بن يوسف البغدادي)

[ت: 629هـ - 1231م]

يعرف بابن اللباد، وابن نقطة

أ/ اكتشف الطبيب الإسلامي "عبد اللطيف البغدادي" أن الفك السفلي للإنسان من عظمة واحدة، وليس من عظمتين كما ذكر جالينوس، وقد توصل إلى اكتشافه هذا كما جاء في كتبه بعد أن فحص (2000) جمجمة بشرية.

ب/ كما اكتشف أيضا أن عظمة العجز (sacrum) تتكون من قطعة واحدة وليس من ست قطع كما ظن الإغريق.

وقد سجل البغدادي ملاحظته هذه في كتابه المسمى الإفادة والاعتبار فيقول: "أما العجز مع العجب ذكر جالينوس أنه مؤلف من ست عظمت ووجدته أما عظمة واحدة".

أبو الوفاء البوزجاني

[ت: 388هـ - 998م]

ومن أعظم رياضيين العرب، ومن الذين لهم فضل كبير في تقدم العلوم الرياضية والفلكية في تاريخ البشرية.

أ/ اكتشف أبو الوفاء البوزجاني إحدى المعادلات لتقويم مواقع القمر سُميت معادلة السرعة.
ب/ ومن أهم إسهاماته في علم الفلك: اكتشافه لنسبة الخلل الثالث في حركة القمر. ولهذا الاكتشاف أهمية قصوى تاريخية وعلمية؛ لأنه أدى فيما بعد إلى اتساع نطاق علمي الفلك والميكانيكا.

وقد ظل المؤرخون مختلفين فيما إذا كان (تيخو براهي) (ت1010هـ، 1601م) الفلكي الدنماركي هو صاحب هذا الاكتشاف أم البوزجاني. وجرى حول هذا الموضوع نقاش واسع في أكاديمية العلوم الفرنسية في القرن الماضي وبقي المؤرخون مختلفين وفي حيرة من أمرهم إلى أن ثبت لدى الباحثين وبعد تحريات دقيقة بأن الخلل الثالث في حركة القمر هو من اكتشاف البوزجاني، وأن الفلكي الدنماركي الشهير (تيخوبراهي) ادعاه لنفسه أو نُسب إليه.

ج/ برع أبو الوفاء في الهندسة وله فيها استخراجات لم يسبقه إليها أحد، وكتب في الجبر، كما أنه زاد في بحوث الخوارزمي زيادات تعتبر أساساً لعلاقة الهندسة بالجبر، وكذلك حلّ هندسياً معادلات من الدرجة الرابعة، وأوجد حلولاً تتعلق بالقطع المكافئ، ولا يخفى علمياً أن هذه الحلول وغيرها مهدت السبيل لعلماء الغرب لأن يتقدموا بالهندسة التحليلية خطوات واسعة أدت إلى التكامل والتفاضل وهو أروع ما وصل إليه العقل البشري وعليه اعتمدت الكثير من الاكتشافات والاختراعات.

اطلع (سمث ودي فو وسارطون) وغيرهم على بحوث البوزجاني في المثلثات، فأقروا بالسبق والفضل، واعترفوا بأنه أول من وضع النسبة المثلثية "ظل"، وهو أول من استعملها في حلول المسائل الرياضية، وهذا عمل مهم جداً لا يدرك أهميته إلا المختصون بالرياضيات، ولهذا أصبح البوزجاني من الخالدين لأنه بوضعه "ظل" في عداد النسب المثلثية يكون قد وضع أحد الأركان التي قام عليها علم المثلثات، خاصة وأنه هو الذي أدخل القاطع والقاطع تمام، ووضع الجداول

للمماس، وهو من أوجد طريقة جديدة لحساب جداول الجيب التي امتازت بدقتها، حتى أن جيب الزاوية 30 درجة كان صحيحاً إلى ثمانية أرقام عشرية.

البوزجاني وفن الرسم:

وتظهر عبقرية البوزجاني في نواح أخرى كان لها الأثر الأكبر في فن الرسم من خلال كتابه: "كتاب في عمل المسطرة والبركار والكونيا"، ترجمه الغربيون تحت اسم Construction Geometriques ويعني بالكونيا المثلث القائم الزاوية.

وبهذا الكتاب طرق خاصة ومبتكرة لكيفية الرسم واستعمال الآلات اللازمة لذلك، مما يحتاجه الصانع من أعمال الهندسة، وفيه أيضاً طرق لإنشاء الأجسام المنتظمة كثيرة السطوح حول الكرة مستعملاً طرقاً مختلفة لحل عملية واحدة، ويجمع كبار العلماء في الغرب على أن هذه الطرق قد دفعت بأصول الرسم خطوات هامة إلى الأمام ...

ولأن أبحاث البوزجاني قد سحرت الغربيين فراخوا يدعون محتويات كتبه لأنفسهم، فمثلاً ادعى (ريجيومونتانوس) بعض النظريات والموضوعات لنفسه وأدخلها في كتابه "المثلثات".

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي

[ت: 440 هـ - 1048م]

كان البيروني عالماً في الرياضيات، والطبيعات، والفلك، والطب، بالإضافة إلى كونه مؤرخاً ولغوياً وأديباً. وعلى الرغم من اطلاعه الواسع على مختلف مجالات المعرفة في عصره، فإن اهتمامه كان مركزاً أكثر على الرياضيات والفلك. ويعده أعلام المستشرقين من العباقرة المسلمين العالمين الواسعي الاطلاع.

أهم منجزات وإسهامات البيروني في الرياضيات والفيزياء:

أ/ يعترف للبيروني بإسهام في مختلف العلوم، فقد حدّد بدقة خطوط الطول وخطوط العرض، وناقش مسألة ما إذا كانت الأرض تدور حول محورها أم لا، وبحث في الوزن النوعي، وقدر بدقة كثافة 18 نوعاً من الأحجار الكريمة والمعادن، وتوصل إلى أن سرعة الضوء أكبر من سرعة الصوت، كما شرح كيفية عمل الينابيع الطبيعية والآبار الارتوازية بناء على مبدأ هيدروستاتيكي.

ب/ وكان البيروني ألمع علماء زمانه في الرياضيات كما يعترف بذلك "سمت" في الجزء الأول من كتابه "تاريخ الرياضيات". وبجانب ذلك اشتغل بالفلك، وبحث في هيئة العالم وأحكام النجوم، ووضع طريقة لاستخراج مقدار محيط الأرض تعرف عند العلماء الغربيين باسم "قاعدة البيروني"؛ ووصف ظواهر الشفق وكسوف الشمس، وغير ذلك من الظواهر الطبيعية بجانب إشارته لدوران الأرض حول محورها. كما كان ملماً بعلم المثلثات، وهو من الذين بحثوا في التقسيم الثلاثي للزاوية.

ج/ أكد البيروني قبل كوبرنيكوس (الذي ينسب إليه بأنه أول من قال عن حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس) بخمسائة عام، ويقول بشكل واضح وصريح: ليست الشمس هي سبب تفاوت الليل والنهار بل إنّ الأرض ذاتها هي التي تدور حول نفسها وتدور مع الكواكب والنجوم حول الشمس .

د/ في كتابه المسعودي يتحدث البيروني عن نوعين من الجاذبية هما: جاذبية الأرض لما عليها وحوها، وجاذبية السماء للأرض، وقال بأن الجاذبية القصوى تقع في باطن الأرض، لكنه لم يستطع التوصل إلى قانون يحدد قوة الجاذبية، لكن لا يخفى على أحد بأن اكتشافاته مع ثابت بن قرة والخازني في هذا المجال قد مهّدت الطريق أمام نيوتن لأن يحدّد قانون قوة الجاذبية.

الفلزات عند البيروني:

أ/ قد أجاد البيروني في وصف الفلزات والمركبات من حيث صفاتها الطبيعية والكيميائية ، كما ذكر أماكن خاماتها وطرق استخراجها من الخام ، وبحث في السبائك بحثاً يدعو إلى الإعجاب ، إضافة إلى تحضير بعض المركبات بطرائق لا يختلف بعضها عما عليه الحال في الوقت الحاضر.

ب/ ويأتي على تنفيذ النظرية القائلة بتحويل المعادن البخرسة إلى ذهب وفضة.

الوزن النوعي للأجسام:

توصل البيروني إلى استخراج الوزن النوعي لكثير من الأجسام الصلبة والسائلة مستعيناً بمبدأ أرخميدس، حيث ابتكر آلة سماها "الآلة المخروطية" أو "الميزان الطبيعي" وهي أقدم آلة استعملت لقياس الوزن النوعي وأعطت نتائج مذهلة تتناسب تقريبا مع الأرقام الحديثة، وتتلخص طريقته بوزن جسم المادة المراد تعيين وزنها النوعي في الهواء أولاً ثمّ وزنه ثانية في الماء داخل الآلة المخروطية، وبعد ذلك يزن الماء الذي أزاحه ذلك الجسم، فيصل إلى معرفة حجم الجسم الموزون، ومن قسمة

وزن الجسم في الهواء على وزن الماء المزاح حصل البيروني على الوزن النوعي للجسم الموزون، وقد توصل إلى نتائج قريبة جداً من العلم الحديث، مثلاً:

المادة	نتائج البيروني	العصر الحديث
الذهب	19.26 - 19.05	19.26
الرئبق	13.74 - 13.59	13.59
النحاس	8.92 - 8.83	8.85
الرصاص	11.437	11.445

الاختلاف البسيط الذي نراه في النتائج يعود إلى عاملين:

- 1/ تطور التقنيات الحديثة.
 - 2/ استخدم البيروني في أبحاثه الماء العادي بينما العلم الحديث يستخدم الماء المقطر.
- عين البيروني الثقل النوعي لثمانية عشر نوعاً من الأحجار الكريمة ومثلاً على نتائجه:

الحجر الكريم	نتائج البيروني	العصر الحديث
الياقوت الأحمر	4.01	4.4
الزمرد	2.86	2.775
العقيق	2.67	2.7
اللؤلؤ	2.7	2.684

محمد بن موسى الخوارزمي [ت: بعد 232هـ]

أصله من خوارزم، عاصر المأمون، أقام في بغداد حيث ذاع اسمه، وانتشر صيته بعدما برز في الفلك والرياضيات. يلقب الأستاذ، صاحب أول كتاب في الحساب ترجمه الأويون.

- 1/ أول من فصل بين علمي الحساب والجبر. وأول من عالج الجبر بأسلوب منطقي علمي.
- 2/ أول من استخدم الأرقام والصفر.
- 3/ أول من استخدم مصطلح العدد الأصم.

أبو بكر الرازي محمد بن زكريا

[ت: 313هـ، 925م]

(شيخ الأطباء)

واشتهر الرازي بعلوم الطب والكيمياء، وكان يجمع بينهما لدى وضع الدواء المناسب لكل داء. ويعتبره المؤرخون من أعظم أطباء القرون الوسطى، فقد جاء في كتاب الفهرست: كان الرازي أوحده، وفريد عصره، وقد جمع المعرفة بعلوم القدماء، سيما الطب.

إسهامات الرازي في علم الكيمياء:

أ/ وقد سلك في أبحاثه مسلكاً علمياً سليماً، فأجرى التجارب واستخدم الرصد والتتبع، مما أعطى تجاربه الكيميائية قيمة خاصة، حتى إن بعض علماء الغرب اليوم يعتبرون الرازي مؤسس الكيمياء الحديثة. وقد طبق معلوماته الكيميائية في حقل الطب، واستخدم الأجهزة وصنعها.

ب/ ويظهر فضل الرازي في الكيمياء، بصورة جلية، عند قسم المواد المعروفة في عصره إلى أربعة أقسام هي: المواد المعدنية، المواد النباتية، المواد الحيوانية، المواد المشتقة. كما قسم المعدنية إلى أنواع، بحسب طبائعها وصفاتها، وحضّر بعض الحوامض. وما زالت الطرق التي اتبعها في التحضير مستخدمة حتى اليوم.

ج/ وهو أول من ذكر حامض الكبريتيك الذي أطلق على اسم (زيت الزاج) أو (الزاج الأخضر).

إسهامات الرازي في الطب:

أ/ عملية فتح الحنجرة (القصبه الهوائية):

يقول الرازي: ((العلاج أن تشق الأغشية الواصلة بين حلق قصبه الرئة ليدخل النَّفس منه، ويمكن بعد أن يتخلص الإنسان وتسكن تلك الأسباب المانعة من النَّفس أن يخاط ويرجع إلى حاله، ووجه علاجه أن يمد الرأس إلى الخلف ويمد الجلد ويشق أسفل من الحنجرة ثم يمد بخيطين إلى فوق وأسفل حتى تظهر قصبه الرئة... فإذا سكن الورم، وكان النَّفس فليُخَطَّ ويمسك قليلاً واجعل عليه دروزاً أصغر)).

ب/ الجراحة كانت كالشر الذي لا بد منه:

لا يلجأ للجراحة إلا إذا كانت هي الحل الأخير، فكذلك كان يفعل الجراحون العرب؛ من ذلك ما نجده في قول الرازي في كتابه (محنة الطبيب): "متى رأيت الطبيب يبرئ بالأدوية التي تعالج بعلاج الحديد والعملية الجراحية مثل الخراجات والديلات واللوزتين، والحنازير واللهاة الغليظة والسلع والتعدد... فمتى أجاد الطبيب في جميع هذه ولا يحتاج في شيء منها إلى البط والقطع إلا أن تدعو لذلك ضرورة شديدة فاحمد معرفته"، ومن ثم سار المثل: آخر الدواء الكي.

ج/ الطب النفسي:

أشار الرازي إلى أهمية العامل النفسي في العلاج، وكان أول طبيب يتوصل إلى الأصول النفسية لالتهاب المفاصل الروماتيزمي. وقد فرق بينه وبين مرض النقرس. وقرر أنه مرض جسدي في ظاهره إلا أنه ناشئ عن الاضطرابات النفسية، وأن أكثر من تظهر عليهم هذه الأعراض من أولئك الذين يكظمون الغيظ؛ وبتراكمه يتعرضون لهزات نفسية كبيرة.

بل إن الرازي رأى أن بعض أنواع سوء الهضم تنشأ عن أسباب نفسية؛ فقد "يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والطحال، منها حال الهواء والاستحمام ونقصان الشرب، وكثرة إخراج الدم والجماع والهموم النفسانية. وينبغي للطبيب أن يوهم المريض بالصحة ويُرجّيه بها، وإن كان غير واثق بذلك. فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس".

د/ التشريح:

يقول الرازي في كتابه محنة الطبيب: ((فأول ما تسأله عن التشريح ومنافع الأعضاء، وهل عنده علم بالقياس وحسن فهم ودراية في معرفة كتب القدماء، فإن لم يكن عنده ذلك، فليس بك حاجة إلى امتحانه في المرضى. وإن كان عالماً بهذه الأشياء؛ فأكمل امتحانه حينئذ في المرضى)).

هـ/ الأمراض وتشخيصها:

- 1/ يورد الرازي في كتاب الحاوي نماذج مما ينبغي اعتماده في تشخيص الأمراض من مثل "جس النبض، ومراقبة درجة الحرارة، والرّعشة، واحتقان الوجه، والعينين، والتنفس، والأظافر".
- 2/ ويصف الرازي مرض ذات الجنب وذات الرئة وكيفية مداواتهما، وفرّق بين الألم الذي يسببه القولنج والذي تسببه الكلى، وعالج التهاب اللوزتين.

3/ يُعد الرازي أول من وصف الجدري والحصبة بوضوح، ويعتبر كتابه الحاوي بمثابة سجل دقيق لملاحظاته على مرضاه وسير المرض لديهم.

العباس بن فرناس

[ت: 274 هـ . 887 م]

هو أبو القاسم العباس بن فرناس بن ورداس التاكريتي الأندلسي القرطبي:

- 1/ كان أول من صنع الميقاتة لمعرفة الأوقات.
- 2/ كما اشتهر بصناعة الآلات الهندسية مثل المنقالة (آلة لحساب الزمن) (نموذج بالمسجد الكبير بمدينة طنجة) واشتهر بصناعة الآلات العلمية الدقيقة.
- 3/ اخترع آلة صنعها بنفسه لأول مرة تشبه الإسطرلاب في رصدها للشمس والقمر والنجوم والكواكب وأفلاكها ومداراتها ترصد حركاتها ومطالعها ومنازلها والتي عرفت بذات الحلق.
- 4/ أنه المخترع الأول للقبة السماوية؛ حيث كان الناس يقصدون منزله لا لطلب الطب فحسب، بل لمشاهدة ما اتخذه ابن فرناس من رسم جميل بديع في منزله، فقد مثل هيئة السماء بنجومها وغيومها وبروقها وعودها والشمس والقمر والكواكب ومداراتها.
- وقد وصف الشعراء المعاصرون له هذه اللوحة العجيبة، مؤكدين أنه جعل في أعلاها نجوماً وغيوماً تبدو كأنها حقيقة، فعدوا ذلك من عجائب الصنعة وبديع الابتكارات.
- 5/ أجمع المؤرخون أن ابن فرناس كان أول من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة والرمل فانتشرت صناعة الزجاج لما رأى الناس أن المادة أصبحت في متناول الغني والفقير.
- 6/ أول من اخترق الجو من البشر، وأول من فكر في الطيران، واعتبره المنصفون أول رائد للفضاء وأول مخترع للطيران، فقد كسا نفسه الريش، ومد له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ثم سقط فتأذى في ظهره لأنه لم يعمل له ذنباً، وقد وصف شعراء عصره هذا الطيران وأسهبوا في الشئ عليه.

قال الزركلي قد كتب أحمد تيمور باشا بحثاً قال فيه لا يغض من اختراع ابن فرناس الطيران تقصيره في الشأن البعيد فذلك شأن كل مشروع في بدايته.

تجاهل الغرب لعبقريه ابن فرناس:

من المؤسف أن كتاب الموسوعات إذا تعرضوا لتاريخ الطيران ينصفون أرفيل رايت 1877م وأخاه يلبور 1867م . 1912م في موسوعاتهم، لكنهم ينسون أو يتناسون منزلة المخترع عباس بن فرناس التي احتلها في التاريخ.

جابر ابن حيان [ت 200هـ، 815م]

"شيخ علماء الكيمياء المسلمين"

قائمة لبعض منجزات ابن حيان في علوم الكيمياء:

- 1/ أكتشف "الصودا الكاوية" أو القطرون (NaOH).
- 2/ أول من استحضر ماء الذهب.
- 3/ أول من أدخل طريقة فصل الذهب عن الفضة بالحلّ بواسطة الأحماض. وهي الطريقة السائدة إلى يومنا هذا. إذ أن ماء الذهب أو الماء الملكي هو عبارة عن حمض النتريك إلى جانب حمض الهيدروكلوريك، إذ يستحيل على أي من الحمضين منفرداً حل لذهب.
- 4/ أول من أكتشف حمض النتريك "HNO3".
- 5/ أول من أكتشف حمض الهيدروكلوريك "HCl".
- 6/ أضاف جوهريين إلى عناصر اليونان الأربعة وهما (الكبريت والزرنيق).
- 7/ أول من أكتشف حمض الكبريتيك "H2SO4" وقام بتسميته بزيت الزاج.
- 8/ أول من عرف أنه عند خلط محلول الطعام مع محلول نترات الفضة ينتج راسب أبيض ، وهذا الراسب هو كلوريد الفضة.
- 9/ أول من استعمل الموازين الحساسة، والأوزان المتناهية في الدقة في تجاربه العلمية.
- 10/ أدخل تحسينات على طرق التبخير والتصفية والانصهار والتبلور والتقطير.
- 11/ استطاع إعداد الكثير من المواد الكيميائية كسلفيد الزئبق وأكسيد الأرسين (arsenious oxide).

12/ لقد بلور جابر بن حيان نظرية أن الاتحاد الكيمائي باتصال ذرات العناصر المتفاعلة مع بعضها البعض وأخذ على كمثل الرثبق والكبريت عندما يتحدا يكونان مادة جديدة. علماً أن هاتين المادتين لم تفقدا ماهيتهما، بل أنهما تجزئا إلى دقائق صغيرة و امتزجت هذه الأجزاء صغيرة ببعضها البعض وتكونت المادة الناتجة متجانسة التركيب . وبذلك يكون جابر بن حيان سابقاً (دالتون) العالم الإنجليزي (1766م - 1844م) بأكثر من ألف سنة.

13/ ولا حظ أيضاً أن النحاس يكسب اللهب لوناً أخضراً، والذهب يكسب النحاس اللون الأزرق ، وشرح بالتفصيل كيفية تحضير الزرنيخ ، والأنتيمون ، وتنقية المعادن وصبغ الأقمشة. 14/ واكتشف أن الشب يساعد على تثبيت الألوان، كما أنه صنع ورقاً غير قابل للاحتراق. 15/ وحضر أيضاً نوعاً من الطلاء يقي الثياب من البلل، وآخر يمنع الحديد من الصدأ. 16/ نجح في وضع أول طريقة للتقطير في العالم. فقد اخترع جهاز تقطير، يستخدم فيه جهازا زجاجيا له قمع طويل، لا يزال يعرف حتى اليوم في الغرب باسم "Alembic" من "الأمبيق" باللغة العربية. وقد تمكن جابر بن حيان من تحسين نوعية زجاج هذه الأداة بمزجه بثاني أكسيد المنجنيز.

ابن خلدون

[ت: 808هـ-1486م]

عبد الرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي، مؤسس علم "معاشرة أبناء الجنس" أو "العمران البشري" أو "الاجتماع الإنساني"

1/ أول من تكلم بعلم الاجتماع وأرسى قواعده. وسبق علماء الاجتماع بقرون: سبق (غبريل تارد) بالقول بالمحاكاة والتقليد، وكان ابن خلدون أعمق، وأدق؛ لأنه أعطى رأياً متميزاً، وعد التقليد ظاهرة ضعف، لا دلالة قوة، وسبق دوركهايم بالقول بالقسر الاجتماعي، وقا: إن الإنسان ابن مجتمعه، تفرض الظاهرة الاجتماعية نفسها على الأفراد. وامتاز عن (فيكو) في مجرى تاريخ الأمم وتطوراتها بأنه كان موضوعياً، والسبه جلي بينه وبين ميكيافيلي في دراسة السلطة والحكومات والإمارات، والأساليب التي يجب اتباعها في الحكم، ووجه الشبه بينه وبين جان جاك

روسو واضحة، من حيث الإيمان الشديد بحياة التقشف، وبينه وبين نيتشه في نظرية (الحق للقوة)، وسبق (كارل ماركس) في (نظرية فضل القيمة).

2/ أول من تكلم بفلسفة التاريخ. والمؤلفات التي ألفت في فلسفة التاريخ وجدت بعد ظهور مقدمة ابن خلدون، منها (الأمير) ميكافيلي الإيطالي، و(الحكومة المدنية) لجون لوك الإنجليزي، و(العالم الجديد) لجان باتيستافيكو الإيطالي، و(طبائع الأمم وفلسفة التاريخ) لفولتير الفرنسي، و(آراء فلسفية في تاريخ البشرية) لهردر الألماني ... وكلهم اقتبسوا من ابن خلدون.

3/ أول من كتب في النقد التاريخي.

4/ أول من قال بنظرية العمل والقيمة.

5/ أول من كتب مقدمة كانت أهم من الكتاب نفسه. وكل ذلك في (المقدمة) التي كتبها لمؤلفه التاريخي، كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر).

(بنو موسى بن شاكر)

وهم ثلاثة إخوة: محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر.. عاشوا في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي).

شكلوا منذ ذلك العهد البعيد نموذجًا إسلاميًا سابقًا لفريق البحث العلمي، وما يمكن أن يتولد من ابتكارات وإنجازات بتجميع جهود العلماء وتضافرها.. هذا التجميع والتضافر الذي يشكل اليوم سببًا واضحًا من أسباب سبق الحضارة الغربية الحديثة.

من أعلام المسلمين في الهندسة الميكانيكية، الذين برزوا في مجالات أخرى كالفلك وغيره من العلوم التطبيقية والتقنية.

من أهم إنجازاتهم في مجال الحيل النافعة:

1/ كتابهم القيم المعروف باسم: "حيل بني موسى". ويحتوي هذا الكتاب على مائة تركيب ميكانيكي، مع شروح تفصيلية، ورسوم توضيحية لطرائق التركيب والتشغيل، وكان استخدام بني موسى للصمامات التي تعمل تلقائيًا، وللأنظمة التي تعمل بعد زمن معين، وغير ذلك من مبادئ وأفكار التحكم الآلي، من أهم الإنجازات في تاريخ العلم والتقنية بشكل عام.

2/ ومن أمثلة التركيبات التي توصل إليها بنو موسى: عمل سراج لا ينطفئ إذا وُضع في الريح العاصف! وعمل سراج يُخرج الفتيلة لنفسه، ويصبُّ الزيت لنفسه، وكل من يراه يظن أن النار لا تأكل من الزيت ولا من الفتيلة شيئاً ألبتة!!

3/ ومن إنجازاتهم أيضاً تنفيذ نافورة يفور منها الماء مدة من الزمان كهيئة الترس، ومدة متماثلة كهيئة القناة... وتظل هكذا تتراوح بين الطريقتين!!

4/ كما استحدثوا كذلك آلات لخدمة الزراعة والفلاحة، مثل المعالف الخاصة لحيوانات ذات أحجام معينة لتمكن من أن تصيب مأكلا ومشربها؛ فلا ينازعها غيرها الطعام والشراب.. وقاموا أيضا بعمل خزانات للحمامات، وآلات لتعيين كثافة السوائل، وآلات تُثبَّت في الحقول لكيلا تضيع كميات الماء هدرًا، ويمكن بواسطتها السيطرة على عملية ري المزروعات.

أبو جعفر علي بن خلف المرادي

[441هـ-1050م]

1/ وألف كتابًا قيِّمًا في الحيل النافعة بعنوان "الأسرار في نتائج الأفكار".. وقد اكتشفت مخطوطة هذا الكتاب حديثًا (عام 1975م) في مكتبة (لورنيين) بفرنسا.. ويحوي الكتاب أجزاء هامة حول الطواحين والمكابس المائية، كما يشرح أكثر من ثلاثين نوعًا من الآلات الميكانيكية، ويصف ساعة شمسية متطورة جدًا.

2/ ومن أمثلة التقنيات المتقدمة التي صوّرها كتاب المرادي: (حامل المصحف) الموجود في جامع قرطبة، والذي يُتيح تناول نسخة نادرة من القرآن الكريم، وقراءتها دون أن تمسّها الأيدي، وينفتح الحامل بطريقة آلية ليخرج منه المصحف..

3/ وفي موضع آخر من الكتاب يُقدم المرادي شرحًا وافيًا لتقنية أخرى متقدمة في قصر جبل طارق، يتم فيها تحريك جدران مقصورة الخليفة آليًا عن طريق تجهيز قاعة محركات إلى جانبها!!

(الجزري)

بديع الزمان أبو العز بن إسماعيل الجزري

[ت: بعد 602هـ، 1205م]

1/ له كتاب "الحيل الجامع بين العلم والعمل": وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية عام 1974، ووصفه مؤرخ العلم المعاصر (جورج سارتون) بأنه أكثر الكتب من نوعه وضوحًا، ويمكن اعتباره الذروة في هذا النوع من الإنجازات التقنية للمسلمين..
وقد تضمن هذا الكتاب ابتكارات وتصميمات متنوعة لساعات وروافع آلية، يتم فيها نقل الحركة الخطية إلى حركة دائرية بواسطة نظام يعتمد على التروس المسننة، وهو الأساس الذي تقوم عليه جميع المحركات العصرية.. كما يضم الكتاب عدة أقسام: أطولها قسم الساعات المائية.. إلى جانب قسم آخر يعالج موضوع آلات رفع الماء.
أما قسم آلات رفع الماء ففيه وصف لتصميم مضخة يعتبرها المؤرخون الجدُّ الأقرب للآلة البخارية....

2/ ومن عجيب ما يُنسب للجزري: أنه أول من اخترع (الإنسان الآلي المتحرك للخدمة في المنزل!!).. حيث طلب منه أحد الخلفاء أن يصنع له آلة تُغنيه عن الخدم كلما رغب في الوضوء للصلاة، فصنع له آلة على هيئة غلام مُنتصب القامة، وفي إحدى يديه إبريق ماء، وفي اليد الأخرى منشفة، وعلى عمامته يقف طائر.. فإذا حان وقت الصلاة يُصَفِّر الطائر، ثم يتقدم الخادم نحو سيده، ويصب الماء من الإبريق بمقدار معين، فإذا انتهى الخليفة من وضوئه يقدّم له الغلام المنشفة ثم يعود إلى مكانه، والعصفور يغرد!!

علي بن عيسى الكحال

[ت: 430هـ-1039م]

فقد اشتهر إلى جانب حذقه مهنة الكحالة بكتابه المعروف تذكرة الكحالين، ومارس مهنته في بغداد.

ويعتبره المستشرقون أكبر طبيب للعيون أنجبته العصور الوسطى، وترجموا كتابه إلى اللاتينية مرتين وإلى العبرية.

وبيّن ابن أبي أصيبعة في (طبقات الأطباء) أن كتاب (تذكرة الكحالين) يحتوي على ثلاث مقالات:

المقالة الأولى: في حد العين وتشريحها، وطبقاتها، ورطوباتها، وأعصابها، وعضلاتها، ومن أين نبات كل طبقة منها، ومن أين يأتي غذاؤها، وإلى أين انتهاؤها، وأين موضعها ومنفعتها.

المقالة الثانية: في أمراض العين الظاهرة للحس، وأسبابها وعلاماتها وعلاجاتها.

المقالة الثالثة: في أمراضها الخفية عن الحس وعلاماتها وعلاجاتها ونسخ أدويتها.

أما مجموع ما ألفه من كتب في طب العيون فيبلغ 32 كتابًا.

وبلغ مجموع ما وصفه من أمراض العيون في تذكرة الكحالين وحده 130 مرضًا.

المحاضرة السابعة (07):

معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة [الجزء الأول]

- ٥٥ أهداف المحاضرة السابعة.
- ٥٥ أهم مراجع المحاضرة السابعة.
- ٥٥ تعريف المعالم.
- ٥٥ تعريف عهد النبوة.
- ٥٥ من معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة: ارتباط الدين بالسياسة.
 - دولة النبي صلى الله عليه وسلم أصل الحضارة والمدنية.
 - من فوائد معرفة معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة.
 - من معالم الحضارة والمدنية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم (الأعمال، والوظائف، والمهن، وأنواع الصناعات، وصور الإدارة، وترتيب الدولة في كل مجال من مجالاتها الدينية، والقضائية، والسياسية، والصناعية، والاقتصادية، والطبية...).
 - أسس بناء الدولة الإسلامية الأولى في المدينة النبوية.
 - أ- بناء المسجد.
 - ب- المؤاخاة بين المسلمين.
 - ج- الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة.
 - د- معلم حضاري: التسمية ب(المدينة) بدل (يثرب).
 - هـ- البناء الحضاري بدأ في مكة قبل المدينة.

أهداف المحاضرة السابعة:

- 1/ إبطال شبهة أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم كانت بدوية.
- 2/ تعريف معالم الحضارة الإسلامية، وبيان أنواعها.
- 3/ تعريف عهد النبوة.
- 4/ فوائد معرفة معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة.
- 5/ بيان ارتباط الدين بالسياسة وعدم انفصلهما في الحضارة الإسلامية.
- 6/ تأكيد أن دولة النبي صلى الله عليه وسلم أصل الحضارة والمدنية.
- 7/ بيان لأبرز الوظائف والأعمال المدنية والأنشطة العمرانية والأوجه الحضارية للدولة النبوية في المجالات المختلفة.
- 8/ أسس بناء الدولة الإسلامية الأولى في المدينة النبوية.
- 9/ صحيفة المدينة النبوية أول دستور مكتوب في التاريخ.

أهم مراجع المحاضرة السابعة:

- 1/ الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة. شوقي أبو خليل ط/2.
- 1417هـ/1996م. دار الفكر بدمشق.
- 2/ الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم. رحيم كاظم الهاشمي. عواطف محمد العربي شنقارو. الدار المصرية اللبنانية القاهرة- المكتبة الجامعية غريان ليبيا. ط/بدون. تاريخ/بدون.
- 3/ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية. حسان حلاق. ط/2. 1419هـ-1999م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.
- 4/ التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي الكتاني[1382هـ]. ط/2، المحقق: عبد الله الخالدي، الناشر: دار الأرقم - بيروت.
- 5/ الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي] 684هـ[. ط/بدون، تاريخ/بدون، الناشر: عالم الكتب.
- 6/ المقدمة. ضمن تاريخ ابن خلدون[808هـ]. تحقيق: خليل شحادة ط2. 1408هـ- 1988م. الناشر: دار الفكر، بيروت.

- 7/ انظر: وثيقة المدينة (المضمون والدلالة)، أحمد قائد الشعيبي. ط/1. 1426هـ. ضمن سلسلة كتاب الأمة، العدد:110، ذو القعدة 1422هـ. فقد لخصت منه هذا المطلب.
- 8/ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية)، مهدي رزق الله أحمد. ط/1. 1412هـ-1992م. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض.
- 9/ من معالم الحضارة والمدنية في الدولة النبوية. (قراءة في فكر الإمام محمد عبد الحي الكتاني من خلال كتابه نظام الحكومة النبوية "المسمى بالتراتب الإدارية"). أحمد محمد زايد. جامعة قطر - كلية الشريعة- قسم الدعوة والثقافة الإسلامية. 1435هـ 2014م - م. ضمن: دراسات في تأصيل النظم الإسلامية (1).

تمهيد:

يهم الكثير من المسلمين فضلا عن غيرهم أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم كانت بدوية، وفي اعتقاد هؤلاء وجود ارتباط بين البداوة وعدم التحضر وأن المتحضر من سكن الحاضرة.

بينما نجد عند استقراء الجانب الحضاري في عصر النبوة والخلافة الراشدة منظومة حضارية متكاملة، إن في الجانب المعنوي المتمثل في الثقافة، وإن في الجانب المادي المتمثل في المدنية بنوعيتها العام والخاص.

وإذا اعتبر أحد أن هذه دعوى عارية من الدليل والبرهان؛ فلا نجد غضاضة من أن نعرض هذه المعالم الدالة على ما قررناه، وهي شواهد على تلك الحضارة الأصلية للحضارة الإسلامية مهما تطاولت بها العصور وترامت بها البقاع تبقى هي القاعدة التي نبي عليها حضارتنا الإسلامية تأكيدا أو تأسيسا، قيامة ونهضة.

وهذا كالوقائع والنوازل التي تتجدد بتجدد الزمان والمكان والأوضاع فإن الأصل الذي ترد إليه هو كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما الجوانب الحضارية في عهد النبوة والخلافة الراشدة إلا تطبيق عملي لما يدل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

تعريف المعالم في اللغة.

(العلامة) الأعلومة، وما ينصب في الطريق فيهدى به، والفصل بين الأرضين.

(العلامة) ما يستدل به على الطريق من أثر.

المعلم: العلامة، ومن كل شيء مظنته، جمعه: معالم، ويقال خفيت معالم الطريق.²³

وفي مذكرتنا هذه؛ المعالم هي: علامات تدل على وجود مظاهر التحضر، والمدنية في دولة النبي صلى الله عليه وسلم .

ويمكن اعتبار المعالم نوعين:

معالم مادية: وهي في الحضارة الإسلامية المعالم المدنية.

معالم معنوية: وهي في الحضارة الإسلامية المعالم الثقافية.

تعريف عهد النبوة.

عهد النبوة: الفترة التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم وهو نبي مرسل، وتسمى فترة الوحي أيضا لنزول الوحي فيها، وقد دامت ثلاثا وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، وعشر سنوات في المدينة النبوية.

من معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة: ارتباط الدين بالسياسة.

تأثرت كثير من العقول المسلمة سلبا بتلك الأفكار (الفصل التام بين الدين والحياة) وظن الكثير أن الإسلام لا علاقة له بالسياسة ولا بقضايا الحكم فضلا عن قضايا الاقتصاد والاجتماع والمدنية، وقصروا الإسلام على عدة مظاهر وطقوس وشعائر وبعض الشرائع في مجال الأسرة والأحوال الشخصية.

إن الإسلام - نظريا وعمليا- لا يعرف ذلك الفصام النكد بين الدين والحياة ولا بين الدين والسياسة، يؤكد ذلك الكتاني قائلا: ((إن الذين اعتنوا بتدوين المدنية العربية والتراتب الإدارية خلفاء المملكة الإسلامية وذكروا ما كان لأمرء الإسلام على عهد الدولة الأموية والخلافة العباسية من الرتب والوظائف والعمالات والعمال أهملوا ما كان من ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أنه عليه السلام حيث كان يشغل منصب النبوة الديني على قاعدة جمع دينه

²³) المعجم الوسيط. المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. الناشر: دار الدعوة. 624/2.

القويم بين سياسة الدين والدنيا جمعا مزج بين السلطتين بحيث كادا أن يدخلا تحت مسمى واحد وهو الدين)).²⁴

قال الإمام أبو العباس القرابي:

((اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الإمام الأعظم، والقاضي الأحكم، والمفتي الأعلم، فهو صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة، وقاضي القضاة، وعالم العلماء، فجميع المناصب الدينية فوضها الله إليه في رسالته، وهو أعظم من كل من تولى منصبا منها في ذلك المنصب إلى يوم القيامة)).²⁵

والإمامة منصب سياسي، يقوم به أولو الأمر على قيادة الناس، والقيام بما يصلحهم في الدنيا ويسعدهم في الآخرة، والنبي صلى الله عليه وسلم تولى منصب الإمامة العظمى الدينية والدينية، وكانت دولته صلى الله عليه وسلم نموذجا تطيقيا عمليا لذلك، ومن هنا فلا فصل بين الإسلام وبين السياسة، فهما توأمان كما قال الغزالي: ((الدين والسلطان توأمان، الدين أصل والسلطان حارس؛ فما لا أصل له فمهذوم، وما لا حارس له فضائع)).

دولة النبي صلى الله عليه وسلم أصل الحضارة والمدنية.

إن الدولة الأولى تأسست فيها معالم الحضارة والمدنية، ومن تصور غير ذلك فهو جاهل بطبيعة الإسلام وحقائقه التشريعية الشاملة، ولم يدقق كثير من المؤرخين في جانب المدنية والحضارة في الدولة النبوية فأهملوه، وكانت عنايتهم بما ظهر من ذلك في الأزمان التالية لها وفي هذا ظلم للحقيقة التاريخية والشرعية معا...

وإهمال هذا الجانب في التاريخ الإسلامي جعل من يدرك الصورة الحقيقية لدولة النبي صلى الله عليه وسلم وما اشتملت عليه من أسس الحضارة والعمران يتعجب تعجبا شديدا، وربما أنكر أحيانا والسبب في ذلك أنه لم يقرأ في تراث الإسلام شيئا يعول عليه.

²⁴) التراتيب الإدارية، محمد عبد الحي الكتاني. 11/1.

²⁵) الفروق، في الفرق السادس والثلاثين بين قاعدة تصرفه صلى الله عليه وسلم بالقضاء وبين قاعدة تصرفه بالفتوى وهي التبليغ وبين قاعدة تصرفه بالإمامة.

لم تكن الصورة الحضارية التي نعم بها المسلمون في العهد الأموي أو العباسي إلا امتدادا لتلك الأصول التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم لدولته الأولى، وليست كما صوره البعض من أنها مأخوذة عن غير المسلمين من الفرس أو اليونان أو غيرهم.

إن حضارة ومدنية الدولة الإسلامية في تاريخها الممتد إنما كانت إسلامية أصالة حيث نشأت جذورها في ظل دولة الإسلام الأولى، والإسلام مع ذلك لا ينكر تلاقح الأمم ثقافيا وحضاريا ومدنيا فيتأثر المسلمون بغيرهم ويتأثر غيرهم بهم.

لقد كان الإسلام واضح أسس التحضر والمدنية، فهم ذلك الصحابة الكرام رضي الله عنهم من خلال مرجعية ثقافية وفكرية إسلامية خالصة، انزوت معها سائر المرجعيات الثقافية الأخرى.

يقول الكتاني : ((ومن عرف نهضة الإسلام وتعاليم النبي عليه السلام وأمعن النظر في تلك النهضة تحقق أن ليس هناك من أساليب التمدن ما لم يكن الإسلام في وقت ظهوره أصلا له وينبوعا، فمن تأمل ما بثه النبي صلى الله عليه وسلم من التعاليم وأنواع الإرشاد وما حوى القرآن من آداب الاجتماع وسنن من طرق التعارف والتمازج وما أودع الله غصون كلماته الجوهرية من أحكام الطبيعة وأسرار الوجود وفرائد الكائنات وما ضبط من الحقوق وسنن من نظمات الحياة وما تلتته به السنة النبوية من تهذيب النفوس والأخلاق والإرشاد للأخذ الأحسن فالأحسن وأحكامه من سنن الارتقاء والإحياء البشري والتمتع بضروب الحرية علم أن التمدن الإسلامي في إبان ظهوره قامت معه تلك الأعمال لتأثير تلك التعاليم على قلوب سامعيها في ذلك الحين. نعم؛ لا ننكر أن التمدن الإسلامي جرى مجرى النشوء الطبيعي في كل شيء وسار سيرا تدريجيا إلى أن وصل إلى أوجه في السمو، فمن لم يتأمل ذلك ولم يحط.

نظرا في الموضوع بما له وعليه؛ لا بد أن يغيب عن علمه ما بلغته الإدارات والعمالات والصناعة والتجارة في تلك العشر سنوات التي قضاها صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية وأن الترقى والعمران وصل فيها إلى إحداث ما يعرف من الوظائف اليوم في إدارة

الكتابة والحساب والقضاء والحرب والصحة ونحو ذلك خصوصا من كان غاية علمه عن ذلك الدور أن أهله كانوا يمشون حفاة وإذا أكلوا مسحوا أيديهم في أقدامهم))²⁶.

وسبب هذه الشبهة وهي: أن المسلمين الأوائل زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكونوا أصحاب علم ولا صناعة إنما كان سمتهم البداوة والسذاجة ... أنها وردت عن ابن خلدون الذي ربط عهد النبوة بالبداوة لا بالحضر فقال: ((من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، وليس في العرب حملة علم، لا في العلوم الشرعية ولا في العلوم العقلية، إلا في القليل النادر. وإن كان منهم العربي في نسبه، فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشيخته، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتهما عربي. والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة، لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة، وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه، كان الرجال ينقلونها في صدورهم، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة، بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه. والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين، ولا دفعوا إليه ولا دعتهما إليه الحاجة))²⁷.

وهذا كلام مردود من وجوه:

1/ لعل كلامه ينصرف إلى البدو من الأعراب، ولا ينصرف إلى العرب الذين منهم من عاشوا في الحواضر.

2/ قوله صلى الله عليه وسلم: ((من سكن البادية جفا ...))²⁸ فيه إشارة إلى أن الصحابة كانوا يسكنون الحاضرة وأن هذا الخطاب متوجه إلى ساكني الحاضرة.

3/ ما ذكر العلماء من الصنائع والأنظمة وصور الإدارة وأصناف الحرف وأشكال التحضر العديد والعديد ... يعطي صورة كلية وهيكلية عامة لشكل الدولة الأولى.

²⁶) التراتيب الإدارية. 12/1-13.

²⁷) المقدمة. ابن خلدون. ص/441

²⁸) رواه أحمد: 3362. وغيره. عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وبالتالي فلا حجة للمعاصرين ممن لم يطلعوا على ذلك أن يتهموا المسلمين وبالأحرى الإسلام بأنه دين متخلف لم ينشئ حضارة ولم يُقيم مدنية كانت أصل المدنيات الإسلامية على تطور مراحلها، وفي هذا دعوة للاطلاع على تراث الإسلام وبخاصة في صورته التطبيقية الأولى، وهذا هو السبيل لإدراك الحقيقة بدلا من الرجم بالغيب.

يقول الكتاني: ((ولكن من واصل ليله بنهاره، واطلع وطالع بالدقة وحسن الروية، يجد أن المدنية وأسباب الرقي الحقيقي، التي وصل إليها العصر النبوي الإسلامي في عشر سنوات، من حيث العلم والكتابة والتربية وقوة الجامعة وعظيم الاتحاد وتنشيط الناشئة، وما قدر عليه رجال ذلك العهد الطاهر، وما أتوه من الاعمال واستولوا عليه من الممالك، وما بثوا من حسن الدعوة وبلغ الحكمة وتمكن الموعظة، لم تبلغها أمة من الأمم ولا دولة من الدول في مئات من السنين، بل جميع ما وجد من ذلك إلى هذا الحين عند سائر الأمم، كلها على مباني تلك الأسس الضخمة الإسلامية انتشأ. فلولا تلك الصروح الهائلة والعقول الكبيرة، وما بثوه من العلوم وقاموا به من الأعمال المخددة الذكر، لما استطاعت المدنيات المحدثه أن تنهض لما له نهضت وارتقت.

أحذق يبصرك وبصيرتك إلى الدور الذي وُجد فيه عليه السلام؛ تجد أن الخراب والدمار والظلم كان أثبت في كل جهة من جهات العالم، من الشرق إلى الغرب. فدولة الروم هرمت مع الضعف الذي استولى على ملوكها؛ بمجاوزتهم الحد في الترف، والانهماك في اللذات، والفتن الداخلية والخارجية، والأمة الفارسية سقطت قوتها بسبب حروبها الطويلة مع الروم مع الفتن الأهلية، والشعوب العربية في انحطاط تام وجهل عام. بين هذا الوسط نبعت تلك الشعلة النورية النبوية، فأضاءت دفعة من أول وهلة على العالم، فأحدثت فيه حركة ونهضة بعد العهد بمثلها في جهة من الجهات، أما في جميع أطراف العالم ثم التأمّت تلك الشعلة واستفحلت وعرفت كيف تربي رجالا عظاما لنشر مبادئها الحقّة والقيام بالعالم من وهدة السقوط فأولئك الذين كانوا أنفسهم قبل الإسلام لا يعرفون من دنياهم إلا البارحة وتربية الماشية والعيش على أحسن بدواة قد انقلبوا بعد الإسلام إلى قواد محنكين ودهاة وحماء سياسيين وعمال أمناء إداريين، حتى قال القراني: " أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا بحارا في العلوم على اختلاف أنواعها، من الشرعيات والعقليات والحسابيات، والسياسيات والعلوم الباطنة والظاهرة، حتى يروى أن عليا

جلس عند ابن عباس في الباء من (بسم الله)، من العشاء إلى أن طلع الفجر، مع أنهم لم يدرسوا ورقة ولا قرأوا كتابا، ولا تفرغوا من الجهاد وقتل الأعداء، ومع ذلك كانوا على هذه الحالة حتى قال بعض الأصوليين: لو لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة إلا أصحابه لكفوه في إثبات نبوته²⁹)).³⁰

من فوائد معرفة معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة.

1/ أنها باعث للأمة على الجد في استرجاع ما فاتها من الخير الذي ضاع بسبب ضياع حضارتها بالبعد عن منهج الإسلام في تشييدها.

2/ أن استحضر تلك الصورة النبوية مثل تقتدى به الأمة في إقامة الدولة، فهي لا تبدأ من الصفر، وإنما تملك تراثا إسلاميا تشكل في نظرية متكاملة ونماذج عملية مشرقة.

من معالم الحضارة والمدنية في عصر النبي صلى الله عليه وسلم.

سأذكر هنا إحصاء ما كان في الدولة النبوية من الأعمال، والوظائف، والمهن، وأنواع الصناعات، وصور الإدارة، وترتيب الدولة في كل مجال من مجالاتها الدينية، والقضائية، والسياسية، والصناعية، والاقتصادية، والطبية... وغير ذلك من صور الأعمال الحضارية، وسيظهر مدى التطور في الشكل المدني، والوضع الحضاري للدولة النبوية؛ لتذهب من العقول تصوراتها عن بدائية الدولة النبوية، وليثبت في القلوب أنها كانت في أرقى حال مدني وعمري وحضاري، ولم تكن مجرد جماعة يغلب عليها عنصر البداوة أو التدين القاصر.

²⁹ (الفروق، القراني. 170/4 مع تصرف يسير

³⁰ (الترتيب الإدارية. 14/1.

وفيما يلي بيان لأبرز الوظائف والأعمال المدنية والأنشطة العمرانية والأوجه الحضارية للدولة النبوية في المجالات المختلفة:

1/المجال الديني.

معلم القرآن - معلم الكتابة - المفتي - العابر للرؤى - إمام الصلاة المؤذن - الموقت - المسرح والمجمر - عامل -المسجد - الساقي -إمارة الحج - حجابة البيت - السقاية- وغير ذلك من الأعمال والوظائف.

2/المجال السياسي.

الوزير - صاحب السر - الحاجب والآذن والبواب - الخادم - صاحب الوساد والنعلين - الإمارة العامة على النواحي - الرسل - والسفراء - والمخابرات.

3/ العمليات الكتابية والعلمية.

كاتب الوحي - كاتب الرسائل والإقطاع - كاتب العهود والصلح - حامل الكتاب والرسائل - الترجمان - الشاعر - الخطيب - كاتب الجيش - العرفاء - المنادي - المحاسب - النقباء - الأوصياء - الأقلام القصبية - القلم والدواة) - الكاغد (الورق) - كتابة التقارير الجغرافية - ترجمة الكتب العمرانية القديمة من الطب والصناعات - علم الخط - علم الأنساب - تعاطي الشعر - علم الفرائض -علم الرماية والسباحة -الإملاء - ... وغير ذلك من العلوم والأعمال والوظائف.

4/ العمليات الأحكامية.

الإمارة - القاضي - صاحب المظالم - قاضي المناكح - الشاهد وكاتب الشروط - فارض الموارث - فارض النفقات - الوكيل المالي - الخبير في أمور البناء - القسام - المحتسب - صاحب العسس - الحراسة - السجنان - مقيم الحدود - ولاية المظالم وغير ذلك الكثير.

5/ الجانب الحربي والعسكري.

أمير الغزو - القائد - نائب الإمام إذا خرج إلى الغزو - حامل اللواء - المقدم على الرماة ومثله على الرجالة (المشاة) - صاحب المقدمة ومثله الميمنة ومثله الميسرة - وصاحب الساقة - الوازع - صاحب الخيل - المسرج - الدليل - مسهل الطريق - الحارس - المتجسس - المخدّل - صانع السفن - صانع المنجنيق - الرامي به - قاطع الشجر - صاحب المغنم ومثله الخُمس - أمير الرماة - طلائع الجيش - وغير ذلك.

6/ الجانب الصحي والطبي.

المارستان - الطبيب - الراقي - القاطع للعروق - الكواء - القاني - وغيرها.

7/ جانب الحرف والصناعات والمهن والفنون والرياضات.

النساج - البزاز - العطار - العراف - بائع الرماح - بائع الطعام - والثمار - الدباغ - الدلال - الخياط - النجار - ناحت الأقداح - الصوغ - البناء - الحداد - الخراط - الصيد في البحر والبر - عامل الحوائط - السقاء بالأجر - الحمال - الحمام - الجزار - الطباخ - الماشطة - القابلة - الخافضة - المرزعة - المغني - حافر القبور - غاسل الموتى - الجلاب - المصور - الصباغ - السباح - صانعة الحريرة - بائعة اللبن - الخباز - الغزل - المغنيات - المسابقة - المصارعة - الرماية - لعب البنات - التمريض - بائع السيوف - .

لعل الناظر فيما سبق يوقن تماما أن الدولة النبوية كانت بعيدة عن معنى البداوة والتخلف وكانت رمزا للتحضر والتمدن حتى وإن كانت في الصورة الأولى التي ستتطور بعد ذلك بحكم النشوء والترقي الطبيعي للأشياء.

أسس بناء الدولة الإسلامية الأولى في المدينة النبوية.

إن أول مجتمع إسلامي تكوّن وترى على الإسلام، هو ذلك المجتمع الذي ربّاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وهو المجتمع المثالي لأي مجتمع، وقد أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم على عدة أسس، هي:

بناء المسجد:

لقد كان أول شيء قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد قدومه إلى المدينة المنورة هو بناء المسجد، وقد كان للمسجد أثره الكبير في إقامة المجتمع الإسلامي على آداب الإسلام وتعاليمه، فلم يكن المسجد مكاناً لأداء الصلاة فقط، وإنما كان مكاناً للتربية وللعلم وللقيادة وللحكم وللمناسبات الإسلامية. فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم المسلمين في المسجد أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه.

وكان صلى الله عليه وسلم يقضي بين الناس في المسجد، وكانت تُعقد فيه ألوية الحرب وتوجيه الرسل إلى الملوك، وإدارة شؤون الدولة الإسلامية، وكان المسجد مكاناً لعلاج المرضى وإسعافهم سواء في وقت السلم أو الحرب، وهكذا يظهر دور المسجد في بناء الدولة الإسلامية وحضارتها.

المؤاخاة بين المسلمين:

لقد كان الأساس الذي أرساه الرسول صلى الله عليه وسلم لبناء المجتمع الإسلامي في المدينة، بعد بناء المسجد هو المؤاخاة بين المسلمين، وهو عمل بدأه بين مسلمي مكة قبل الهجرة. ولم يكن المهاجرون يملكون شيئاً بعد أن هاجروا إلى المدينة، فقد تركوا أموالهم وأولادهم في مكة، فأخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وقامت المؤاخاة على أسس مادية كالمشاركة في المال والثروة والتوارث فيها، بالإضافة للأسس المعنوية كالولاء والمناصرة، وظل هذا التوارث بسبب المؤاخاة قائماً حتى غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية للهجرة، عندما نزل قوله تعالى: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم} [الأنفال: 75] فأصبح التوارث بسبب القرابة والرحم.

وقد أحب الأنصار المهاجرين حباً شديداً، وآثروهم على أنفسهم، فأثنى الله عليهم، قال تعالى: {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} [الحشر: 6]. وهذه المحبة التي قامت بين المسلمين كانت نعمة من الله عليهم، فقد جعلت المسلمين أسرة واحدة، ومجتمعاً واحداً.

الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو قائد المجتمع المسلم، وهو الحاكم القدوة، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في كثير من الأمور، وكان يلتزم الشورى في كل أمر لم ينزل فيه وحى من عند الله، حتى قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: (ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) [الترمذي].

وكان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويداعبهم ويخالطهم، ويجيب دعوة الحر والعبد، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ويقبل عذر المعتذر، وكان يرقع ثوبه، ويخفف نعله، ويساعد أهل بيته،... إلى آخر صفاته الكريمة.

وقد نزل القرآن أمرًا الصحابة بالافتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا} [الأحزاب: 21].

ومن هنا اقتدى الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك تربي المجتمع الإسلامي الجديد على القيم والأخلاق، وبهذه الأسس الراسخة، وتلك القواعد الثابتة والقيم السامية والأخلاق الرفيعة، جاءت حضارة الإسلام، فأخرجت للعالم خير أمة أخرجت للناس.

معلم حضاري: التسمية بـ(المدينة) بدل (يثرب):

سمى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (يثرب) بالمدينة، ونهى عن تسميتها بالاسم التقليدي (يثرب) والسر في ذلك كما يذكر بعض من بحث مصطلح (المدينة) أن لفظ المدينة له دلالات ومفاهيم لا تظهر مع استعمال لفظ (يثرب) إنما تظهر فقط من التسمية بلفظ (المدينة)، وذكر طرفا من هذه الدلالات والمفاهيم منها:

أن المدينة مثلت منظومة للحياة جديدة في المعتقد، والعلاقات، والمنهاج، والحياة العلمية والحضارية، وارتفعت بالسلوك الفردي والجماعي الإنساني إلى أفق غير معهود في عالم البشر، وأصبحت المدينة نواة للحياة الإسلامية، تلم شعث القرى المتفرقة، تقام بها الجُمع، وهي عاصمة الدولة، وهي مركز الحياة الإسلامية، فكانت المدينة رمز المدينة بقيمتها وعقيدتها ونظامها السياسي الجديد وعلاقتها المتميزة بالعوامل غير الإسلامية من الفرس والروم فالمدينة نظام وشكل الدولة

المتحضرة الجديدة بقيمتها وعقيدها وتشريعاتها وتقدمها، وليست مرادفا للدولة اللادينية أو العلمانية كما يستعملها المراءوغون ممن يسمون أنفسهم بالنخبة في عالمنا الإسلامي اليوم.

البناء الحضاري بدأ في مكة قبل المدينة.

سبق وأن نبهنا إلى هذه الحقيقة في البناء الحضاري؛ وهي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر إلى المدينة ليؤسس أول دولة حضارية إسلامية في التاريخ الإسلامي؛ كان قد بنى أساس هذه الدولة الحضارية، وذلك ببناء الإنسان المؤمن الموحد لله تعالى، المتبع لرسوله صلى الله عليه وسلم، المتخلق بالأخلاق الفاضلة، وهذا ما تؤكد عليه الخاصية العامة للقرآن المكّي وهي تركيزه على الإيمان والتوحيد والاتباع والأخلاق، وكان للقصاص القرآني، وأسلوب الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد الأثر المباشر في بناء هذه الشخصية التي تم إعدادها على مدى ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة لتقوم بالمهمة التالية وهي بناء الدولة الإسلامية في المدينة النبوية. ولهذا يتبين أن البدء بالحديث عن الدولة الإسلامية الأولى، والحضارة الإسلامية الأصيلة من بداية العهد المدني من غير التفات إلى العهد المكّي الذي هو الأساس فيه ما فيه من النظرة القاصرة في حقيقة البناء الحضاري والذي يبدأ أصالة من بناء الإنسان.

المحاضرة السابعة (07):

معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة [الجزء الثاني]

رتكر الدرر على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

٥٥ من معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة: دستور المدينة.

- أسماء هذه الوثيقة.
- ثبوت الصحيفة.
- نص الصحيفة.
- مضمون الصحيفة.
- أولا: البعد السياسي.
- ثانيا: البعد الاجتماعي.
- ثالثا: البعد الأمني.
- رابعا: البعد الحضاري.

من معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة: دستور المدينة.

تمهيد:

إذا تشدق المعاصرون بالدساتير الوضعية التي يحاولون بها تنظيم حياتهم فإننا نفخر بتلك الوثيقة الدستورية للدولة النبوية التي هي فخر الزمان على مدار الأجيال، يظهر ذلك في الوثيقة الخالدة التي نظمت الحياة الداخلية بين فصائل المجتمع المركب من المسلمين (المهاجرين والأنصار)، واليهود، والمشركين ...

الوثيقة تعد أول دستور في المدينة المنورة ينظم العلاقات العامة في المجتمع، الإسلامي بين كافة أطرافه ويحدد الحقوق والواجبات لكل تلك الأطراف. وهي أول نظام مكتوب قامت على أساسه دولة منذ تكوينها قبل أن يقر الغرب منذ قرنين فقط سنة كتابة الدساتير التي كان أولها دستور الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776م، وتلاه الدستور الفرنسي سنة 1789م.

أسماء هذه الوثيقة.

وردت في الأحاديث باسم (الكتاب) و(الصحيفة)، واستعمل المحدثون اسم (الوثيقة) و(الدستور) والأمر واسع ما دام المقصود معروفاً. وكثرة الأسماء دليل على أهمية المسمى. ولا ألتزم هنا باسم معين، فمرة أستعمل الوثيقة وكرة الصحيفة وأخرى الدستور وربما الكتاب.

ثبوت الصحيفة.³¹

1/ من الناحية التاريخية فقد ذكرها كثير من المؤرخين وأهل السير لشهرتها، وأرخوا لها في السنة الأولى من الهجرة النبوية؛ منهم ابن كثير [774هـ]³².

2/ ومن الناحية الحديثة فقد اختلف أهل العلم في ثبوتها على قولين:

الأول: أنها بمجموع طرقها ترتقي إلى درجة الصحة.

الثاني: أنها وإن تعددت طرقها وأسانيدنا فإنها واهية لا ترتقي إلى درجة الحسن فضلاً عن الصحة.

(³¹) انظر: الصحيح في وثيقة المدينة (المعاهدة مع اليهود). محمد عبد الله العوشن.

<http://www.islamstory.com/ar/artical/20915> بتاريخ: 2014/03/01.

(³²) في البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. 1418هـ-1997م. الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. 556/4.

وعندي بعض التسيهات:

1/ أن مضمون هذه الوثيقة لا يتعارض مع نصوص القرآن والسنة الصحيحة.³³ ولهذا قام بشرحها بعض أهل العلم، كأبي القاسم السهيلي [581هـ].³⁴ وما يُستنبط من هذه الوثيقة من أحكام شرعية؛ ينبغي أن يدل عليه دليل من القرآن أو السنة الصحيحة.

2/ أن لغة هذه الوثيقة ذات فصاحة عالية تتناسب مع لغة عصر النبوة. وفيها كثير من غريب الحديث.

3/ يمكن الاستئناس بحديث كعب بن مالك رضي الله عنه الذي فيه إشارة واضحة إلى هذه الصحيفة إلا أنها متأخرة زمنا عن السنة الأولى من الهجرة النبوية، حيث يقول:

"كان كعبُ بنُ الأشرفِ يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم، ويجرِّضُ عليه كفارَ قريش، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة، وأهلها أخلاطٌ، منهم المسلمون، والمشركون يعبدون الأوثان، واليهودُ وكانوا يؤذون النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأمر الله عز وجل نبيّه بالصبرِ والعفو، ففيهم أنزل الله: ﴿ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا﴾ [آل عمران: 186] الآية، فلما أبى كعبُ بنُ الأشرفِ أن ينزعَ عن أذى النبيِّ صلى الله عليه وسلم، أمرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم سعدَ بن معاذَ أن يبعث رهطا يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة، وذكر قصة قتله، فلما قتلوه، فزعت اليهودُ والمشركون فغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: طرَّقَ صاحبنا فقتل، فذكر لهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم الذي كان يقول، ودعاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى أن يكتب بينه كتابا، ينتهون إلى ما فيه فكتب النبي صلى الله عليه وسلم، بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة".³⁵

(³³) انظر: وثيقة المدينة (المضمون والدلالة)، أحمد قائد الشعيبي. ط/1. 1426هـ. ضمن سلسلة كتاب الأمة، العدد: 110، ذو القعدة 1422هـ. ص/54.

(³⁴) الروض الأثف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المحقق: عمر عبد السلام السلامي. ط/1. 1421هـ/ 2000م. الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت. 173/4-177.

(³⁵) رواه أبو داود: 3000. وقال الألباني: صحيح الإسناد.

نص الصحيفة.

- اشتملت الصحيفة سبعا وأربعين فقرة³⁶، وسأجترئ على بعضها لإعطاء لمحة عنها، مع الإبقاء على أرقام الفقرات كما هو:
- 1/ هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين، والمسلمين من قريش، (وأهل يثرب)، ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم.
- 2/ إثم أمة واحدة من دون الناس.
- 3/ المهاجرون من قريش على ريعتهم³⁷، يتعاقلون³⁸ بينهم، وهم يقدون عانيهم³⁹ بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
- 12/ وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً⁴⁰ بينهم أن يعطوه بالمعروف؛ من فداء، أو عقل، وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.
- 13/ وإن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة⁴¹ ظلم، أو إثماً، أو عدواناً، أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم.
- 16/ وإنه من تبعنا من يهود، فإن له النصر، والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم.
- 20/ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى، وأقومه، وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا نفساً، ولا يحول دونه على مؤمن.

(36) راجعها في: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ط/6. 1407هـ-1987م. دار النفائس - بيروت. ص/59-62. ذكر بدقة مصادر هذه الوثيقة العربية وغير العربية.

(37) الرعية: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(38) من العاقلة: وهم عصبة القاتل من جهة الأب، يدفعون عن قاتلهم الدية.

(39) العاني: الأسير.

(40) المثقل بالدين.

(41) دسيعة ظلم: أي طلب دفعاً على سبيل الظلم، فأضافه إليه، وهي إضافة بمعنى من. ويجوز أن يراد بالدسيعة العطية: أي ابتغى منهم أن يدفعوا إليه عطية على وجه ظلمهم: أي كونهم مظلومين أو أضافها إلى ظلمه لأنه سبب دفعهم لها. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير. 117/2.

22/ وإنه لا يجلُّ للمؤمن أقرَّ بما في هذه الصَّحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر مُحدثاً⁴²، أو يُؤويه، وإنَّ مَنْ نصره، أو آواه، فإنَّ عليه لعنة الله، وغضبه يوم القيامة، ولا يُؤخذ منه صرفٌ، ولا عدلٌ⁴³.

23/ وإنه مهما اختلفتم فيه من شيءٍ، فإنَّ مردّه إلى الله، وإلى محمّدٍ صلى الله عليه وسلم.

25/ وإن يهود بني عوف أمّةٌ مع المؤمنين؛ لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليتهم وأنفسهم، إلا ظلم نفسه، وأثمَّ، فإنَّه لا يُوتغ⁴⁴ إلا نفسه، وأهل بيته.

37/ وإنَّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإنَّ بينهم النَّصرَ على من حارب أهل هذه الصَّحيفة، وإنَّ بينهم النَّصح، والنَّصيحة، والبرُّ دون الإثم.

38/ وإنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وإنَّ النَّصرَ للمظلوم.

39/ وإنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

40/ وإنَّ يثرب حرامٌ جوفها لأهل هذه الصَّحيفة.

41/ وإنَّ الجار كالنفس غير مُضارٍّ، ولا آثم.

43/ وإنه ما كان بين أهل هذه الصَّحيفة من حدثٍ⁴⁵، أو اشتجارٍ⁴⁶ يُخاف فسادُه، فإنَّ مردّه إلى الله - عزَّ وجلَّ - وإلى محمّدٍ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنَّ الله على أتقى ما في هذه الصَّحيفة وأبرّه.⁴⁷

44/ وإنه لا يُجأز⁴⁸ قريشٌ، ولا مَنْ نصرها، وإنَّ بينهم النَّصرَ على من دهم⁴⁹ يثرب.

⁴² (محدثاً: جانيا ترتب على جنايته حد أو عقوبة.

⁴³ (الصرف: التوبة، والعدل: الفدية، وقيل غير ذلك.

⁴⁴ (لا يوتغ: لا يهلك. من الوتغ: الهلاك.

⁴⁵ (الحدث: الأمر المنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف.

⁴⁶ (اشتجار: اختلاف وتنازع.

⁴⁷ (وإنَّ الله على أتقى ما في هذه الصَّحيفة وأبرّه، أي: وإنَّ الله، وحزبه المؤمنين على الرضا به.

⁴⁸ (لا تُجَمَى، من الإجارة، أي: الحماية.

⁴⁹ (فاجأها بمجوم.

45/ وإذا دُعوا إلى صلحٍ يصالحونه، ويَلْبَسونه؛ فإنَّهم يصالحونه، ويلبسونه، وإنَّهم إذا دُعوا إلى مثل ذلك؛ فإنَّه لهم على المؤمنين، إلا مَنْ حارب في الدِّين. وعلى كلِّ أناسٍ حصَّتْهم من جانبهم الَّذي قَبَلَهُم.

47/ وإنَّه لا يحول هذا الكتاب دون ظالمٍ، أو إنَّهم، وإنَّه مَنْ خرج آمنٌ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة، إلا من ظلم، وإنَّ الله جازٌ لمن برَّ، واتقى، ومحمَّدٌ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. مضمون الصحيفة.⁵⁰

يمكن عرض مضمون الصحيفة بعدة اعتبارات:

1/ باعتبار من تعلقت بهم: هي أربعة أقسام⁵¹:

القسم الأول: بنود متعلقة بالمسلمين، كالبند الأول: هذا كتابٌ من محمَّد النَّبِيِّ (رسول الله) بين المؤمنين، والمسلمين من قريشٍ، (وأهل يثرب)، وَمَنْ تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم.

القسم الثاني: بنود متعلقة بالمشركين، كالبند العشرين: ... وإنَّه لا يجير مشركٌ مالا لقريشٍ، ولا نفسًا، ولا يحول دونه على مؤمنٍ.

القسم الثالث: بنود متعلقة باليهود، كالبند التاسع والثلاثين: وإنَّ اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

القسم الرابع: بنود متعلقة بالقواعد العامة، كالبند الأربعين: وإنَّ يثرب حرامٌ جَوْفُها لأهل هذه الصَّحيفة.

2/ باعتبار أبعادها: هي أربعة أبعاد: البعد السياسي، والبعد الاجتماعي، والبعد الأمني، والبعد الحضاري.⁵² فإلى بيان كل بعد باختصار.

(⁵⁰) انظر: انظر: وثيقة المدينة (المضمون والدلالة)، أحمد قائد الشعيبي. ط/1. 1426هـ. ضمن سلسلة كتاب الأمة، العدد: 110، ذو القعدة 1422هـ. فقد لخصت منه هذا المطلب.

(⁵¹) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية)، مهدي رزق الله أحمد. ط/1. 1412هـ-1992م. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض.

(⁵²) راجع هذه الأبعاد مفصلة في: وثيقة المدينة (المضمون والدلالة)، أحمد قائد الشعيبي. ط/1. 1426هـ. ضمن سلسلة كتاب الأمة، العدد: 110، ذو القعدة 1422هـ. ص/55-208.

أولاً: البعد السياسي.

أ/ مرجعية الحكم: إلى الله تعالى، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

ب/ أساس المواطنة في الدولة: رعاية جميع الحقوق المشروعة للمواطنين سواء كانوا من المسلمين أو غيرهم، بشرط الإسلام والولاء للنظام المعمول به في الدولة بالنسبة للمسلمين، وبشرط الولاء بالنسبة لغير المسلمين.

ج/ نظام الدولة.

مبدأ مفهوم الدولة: كان نظام العرب قبل الإسلام نظام القبيلة، بعد الإسلام نظام الدولة هو الإسلام هو العقيدة ويستوي في الانتماء إليها أهل مكة (قبيلة قريش) وغيرهم...

هيكلية التنظيم السياسي للمجتمع: نجد أن الدولة الإسلامية أبتت الأمر على القبائل ورؤسائها كما كان، وإنما أنهت العصبية القبلية والثأر... وبقي للقبائل دور اجتماعي وسياسي إسلامي فاعل كواجبات النفقات منها دفع الديات وفداء الأسرى...

سلطة القانون وسيادة الدولة: تمكنت الدولة من ضم مكونات المجتمع المدني على اختلافه والفوضى التي كان يعيشها من قبل والعصبية في مدينة موحدة حول إعلان دستوري مركزي لأول مرة من نوعه في تاريخ الإنسانية. يخضع له الجميع، وتسهر على تنفيذه حكومة مركزية تملك السلطة العليا في المدينة، للحاكم فيها حقوقه ومسؤولياته، وللمواطنين حقوقهم ومسؤولياتهم، وللقانون كلمته وسيادته.

كما تأكدت سيادة الدولة من خلال هيمنتها الكاملة على الأمن داخل المدينة، وذلك باستئصال شأفة الجرائم التي تعبت بسلامة المجتمع وأمنه، وأعظمها جريمة القتل التي كانت واسعة الانتشار...

ثانيا: البعد الاجتماعي.

أ/ مفهوم الأمة في الإسلام.

الأمة في القرآن الكريم والسنة النبوية لها عدة معان، ومن ذلك الناس الذين أرسل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: { كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم... } [الرعد:30]. وهذه تسمى أمة الدعوة. ومن معانيها الناس الذي استجابوا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، كقوله تعالى: { وكذلك جعلناكم أمة وسطا... } [البقرة:143]. وهذه تسمى أمة الإجابة.

وهي المقصودة في الوثيقة، فمفهوم الأمة في الإسلام من هذه الناحية هي التي توحيدها عقيدة واحده، وغيرها من الأمم الذين يعيشون معها هم أمم ولكن توحيدهم المواطنة بالمفهوم الإسلامي الذي سبق بيانه. أو الأمة بالمعنى السياسي لا المعنى العقدي.

ب/ علاقة الفرد بالمجتمع.

قبل الإسلام كان الرجل تابعا لقبيلته، يقترف الإثم والجريمة وتؤدي عنه، وتبعاته عليها... وبعد الإسلام تحرر الفرد من سلطان القبيلة، وهنا برزت ذاتية الفرد ومسؤوليته أمام المجتمع... وهذا ما قرره الوثيقة، وهذا لا يلغي مسؤولية المجتمع عن الفرد، فالمسؤولية مشتركة متكاملة. وحديث: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))؛ يوضح الحقيقة ويجليها فالفرد راع وفي الوقت عينه يرعى المجتمع هذا الراعي...

فردية المسؤولية (شخصية العقوبة): أي: أن العقوبة الجنائية تقتصر في آثارها على شخص المذنب المحكوم عليه، ولا يجوز بحال من الأحوال أن تمس هذه العقوبة شخصا آخر غير المحكوم عليه، مهما كانت صلة قرابته من المحكوم عليه.

الأخلاق الاجتماعية:

- 1/ التكافل بين العشائر والطوائف من خلال بنود الوثيقة: الفداء بالمال. الفداء بمقابل أسرى للعدو بيد المسلمين. الفداء بمقابل خدمات.
 - 2/ وفاء الدين على الغارمين.
 - 3/ مراعاة مبدأ الولاء: أي: العبد الذي أعتقه سيده يبقى لسيدته حق الولاء، كأن يموت المولى وليس له وارث فإن معتقه يرثه...
 - 4/ المساواة: حارب الإسلام الطبقة (الأحرار، الموالى، الأرقاء) ومن ذلك استواء الجميع في حق الجوار (عقد الأمان)، وله تطبيقات عملية في عهده صلى الله عليه وسلم: أمان المرأة (قصة قد أجرنا من أجزت يا أم هانئ-أجزت رجلا مشركا يوم فتح مكة-).
 - قبول أمان العبد في عهد عمر رضي الله عنه.
 - 5/ مراعاة حق الجار: وردت كلمة (الجار) عامة لتشمل كل أنواع الجيران...
- ثالثا: البعد الأمني.

أ/ ضمان الأمن لطوائف المجتمع:

- 1/ منع البغي (الظلم) التعدي والتكبر.
- 2/ حق الحياة. القصاص نازل بالجميع. والجاني يعاقب ولو كان ولد أحدهم...
- 3/ منع إيذاء المجرمين والدفاع عنهم وحميتهم باسم قرابة أو سلطان أو صداقة: هذا القانون لم تعرفه التشريعات الوضعية إلا في القرون الأخيرة.
- 4/ منع الغدر.

ب/ مسؤولية الدفاع المشترك واجب على جميع ساكني المدينة، وبالمقابل منحهم حقا لا يقل أهمية عن ذلك الواجب وهو مساواتهم جميعا أمام القانون، دون النظر إلى الدين، أو العرق...

ج/ مساواة الجميع أمام القانون، في الحقوق والواجبات العامة:

- 1/ المساواة في النفقات المالية: نفقات الحرب الدفاعية.
- 2/ المساواة في العمليات الحربية الدفاعية عن المدينة من أي عدوان خارجي.
- 3/ المساواة في واجب منع إجارة العدو ومن نصره.
- 4/ المساواة في الانتساب إلى الأمة بالمعنى السياسي (المواطنة على أساسها العقيدة والولاء، الولاء).
- 5/ المساواة في معاملة كل طرف من المتعاقدين لحلفاء الآخر.

د/ التدابير الخاصة بقريش: تلخص فيما يلي:

- 1/ ضمان الأمن، وتقوية الجبهة الداخلية، ودفع الأذى الذي قد يأتي من الخارج.
- 2/ قطع الطريق على قريش كي لا تستفيد من المدينة أو من أحد من سكانها، حيث حضر على من سكن في المدينة أن يؤوي نفسا أو مالا لقريش.
- 3/ إرسال السرايا، التي كانت عبارة عن دوريات حربية استكشافية صغيرة، هدفها تأمين الدولة الجديدة وحمايتها من خصومها المجاورين إذا هموا بالاعتداء، كعادتهم في الغارات المفاجئة دون إنذار، وقد أحدثت أثرها في نفوسهم مما جعلهم يترددون في محاولات الاعتداء.
- 4/ عزل قريش القوية حتى لا تتعاضم قوتها أكثر، وذلك بعقد الموادعات والأحلاف مع القبائل المحيطة بالمدينة مما يسهل على المهاجرين مهاجمة قوافلها دون أن تلقى من جوار هاته القبائل ما يحميها من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.
- 5/ عدم فتح أكثر من جبهة والدولة الإسلامية لم يشتد ساعدها بعد.
- 6/ منع قوافل قريش من المرور في أراضي الدولة الإسلامية، طبقا لما نصت عليه الوثيقة وهذا لا يعد عدوانا بل هو داخل دائرة أعمال السيادة للدولة الإسلامية.

هـ/ سد الثغرات ومنع الشبهات: بتنظيم حركة القاطنين بالمدينة، فلا يخرج أحد منهم

إلا بإذن الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا كان له مسوغه من كون الدولة فتية بحاجة إلى رقابة أمنية والجاهزية لكل طارئ كحرب خارجية أو نقل الأخبار ...

حرمة المدينة: حدد النبي صلى الله عليه وسلم حدود المدينة، وبين أنها حرام على جميع ساكنيها، فلا يقتل صيدها ولا يقطع شجرها ... والمقصود إحلال الأمن داخل المدينة ومنع الحروب والقتال ...

رابعا: البعد الحضاري.

أ/ التسامح الديني: الإسلام دين (الحرية) لا (الاحتمية)، الوثيقة محاولة جادة لإزالة التمييز العنصري، وتنقية العلاقات البشرية من سموم التحاسد الفردي والتطاحن القبلي والتناحر الطائفي والتعصب الديني، فالتسامح من خصائص دين الإسلام، وهو أشهر مميزاته، وإنه من النعم التي أنعم الله بها على أزداده وأعدائه، وأدل حجة على رحمة الرسالة الإسلامية المقررة بقوله تعالى: { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } [الأنبياء: 107]. جعل التسامح اليهودي مع ما يعتقد مما يخالف عقيدة الإسلام يعيش مع المسلم في وطن واحد آمنا على نفسه وماله وعرضه ...

عدم الإكراه في الدين:

1/ النص الصريح: { لا إكراه في الدين } [البقرة: 256]، { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } [يونس: 99] .

2/ تنافي الإكراه مع طبيعة العقيدة نفسها، من حيث كونها عنصرا نفسيا، ومن المحال تكوين أو تأسيس حقيقة نفسية بالإكراه.

ب/ التعايش السلمي والتعاون بين الأفراد.

التعايش مع الأديان بصفة خاصة ضرورة من الضرورات الملحة التي يستلزمها الحفاظ على سلامة الكيان الإنساني ويمليها الحرص المشترك على البقاء الحر الكريم فوق هذه الأرض. سبق الإسلام سبق الأمم العالمية والمنظمات الدولية إلى إعلان نداء السلام العالمي الشامل بمقتضى قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة } [البقرة: 208]؛ لأن السلم هو العلاقة الطبيعية بين الشعوب والأمم، قال تعالى: { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ } [الحجرات: 13].

استراتيجية التعايش: انطلقت من أرضية عقائدية بالنداء للالتقاء على كلمة التوحيد في مقابل الشرك، كما قال تعالى: { قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله

وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 64].

والاعتراف بالآخر: { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلي دِينِ } [الكافرون: 6].

من مظاهر التعايش:

1/ النهي عن مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن...

2/ حرية ممارسة العقيدة.

3/ إباحة مصاهرتهم وأكل طعامهم.

تلخيص أسس التعايش السلمي من خلال الصحيفة في:

1/ الرغبة المشتركة في التعايش نابعة من الذات، وليست مفروضة تحت ضغوط، أيا كان مصدرها، أو مرهونة بشرط مهما يكن مسببه.

2/ التفاهم حول الأهداف المشتركة بحيث يكون القصد الرئيس من التعايش هو خدمة الأهداف الإنسانية السامية، وتحقيق المصالح البشرية العليا، وفي مقدمتها استتباب الأمن والسلم في الأرض، والحيلولة دون قيام أسباب الحروب والنزاعات، وردع العدوان والظلم والاضطهاد، الذي يلحق بالأفراد والجماعات.

3/ التعاون على العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها.

4/ صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام المتبادل ومن الثقة المتبادلة أيضا حتى لا ينحرف عن الخط المرسوم لأي سبب... مهما تكن الدواعي والضغوط، فإن الاحتكام لا يكون إلا إلى القيم والمثل والمبادئ التي لا خلاف عليها ولا نزاع حولها كما هي محددة في دستور الدولة الجديدة في المدينة.

ج/ رعاية حقوق الإنسان وتأكيد حرمتها.

في وسط ظلمات الباطل كالعبودية للبشر، وامتهان الكرامة الإنسانية والتمايز الطبقي، واضطهاد الأقوياء للضعفاء، والتفاخر بالأحساب والأنساب، والظلم والجور، وإتيان الفواحش، وقول الزور، وإساءة الجوار، وانتهاك المحارم، وسفك الدماء جاء النبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذه الصحيفة حقوق الإنسان التي لا يجوز التنازل عنها أو عن بعضها؛ لأنها ضرورات إنسانية لا سبيل لحياة الناس بدونها، فردية كانت أو جماعية...

لقد أرست الوثيقة حقوقاً للإنسان وواجبات عليه، في تنسيق بديع متوازن يسير في علاقات توازن بين الحق والواجب، بما يحقق للإنسانية الخير والعدالة والكرامة. فما يُعد حقاً للفرد أو المجتمع في الوثيقة هو فرض واجب على الفرد للفرد، وعلى المجتمع للفرد، وعلى الفرد للمجتمع، وعلى الدولة للفرد والجماعة معا في النظام الإسلامي. فالمجتمع الإسلامي الجديد كلُّ متكامل يلتقي فيه الفرد بالمجتمع في نظام يحكمه الواجب الذي يرقى إلى درجة الإلزام (الفقرات: 3، 12، 13، 16، 21، 25، 37، 39، 40)...

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يفرق في تقريره لحقوق الإنسان وواجباته في دستور دولته بين غني وفقير، ومسلم وغير مسلم، وشريف ووضيع، وأبيض وأسود، فالكل سواسية كأسنان المشط أمام القانون.

ومن هذه الحقوق:

1/ حق الحرية.

اهتمت الوثيقة بحق الحياة الكريمة للإنسان وحق حرية العقيدة... ودفع بها أشواطاً بعيدة في طريق الرقي والتقدم تتجاوز الحضارة المعاصرة بمراحل.

فالإنسان حر بفطرته لا يقبل أن يستعبد أو يسترق، فلا يحق لأحد أن يستعبد الآخر؛ لأن الله تعالى كرم ابن آدم وفضله على سائر مخلوقاته... (الفقرة 3 إلى 12) ((أن كل طائفة تفدي عانيها(أسيرها) بالمعروف)). لكيلا يُسترق ذلك الأسير ويصبح عبداً فاقداً للحرية، معتبرا هذا الحق للفرد واجبا على المجتمع حمايته والمحافظة عليه؛ لأن الإنسان منذ ولادته يولد حراً لا يملكه أحد...

2/ حق الحياة.

يتضح هذا الحق عندما ننظر إلى العقوبات التي تضمنتها الصحيفة تجاه القاتل الذي ينهي حياة شخص دون حق (الفقرة 21: وإِنَّهُ من اعتبط مؤمناً قتلاً عن بينة؛ فَإِنَّهُ قَوْدٌ به ... الفقرة 41: وَإِنَّ الجار كالتَّفس غير مُضارٍّ، ولا إثم). فالحياة حق مشترك يتمتع به جميع الناس دون تمييز أو تفرقة. فالمسلم وغير المسلم والرجل والمرأة كلهم سواء في حرمة الدم واستحقاق الحياة. قال الله تعالى: { ... مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا... } [المائدة:32]. أي: أن من قَتَلَ نفسًا بغير سبب من قصاص أو إفساد في الأرض بالكفر أو الحرابة، فكأنما قتل الناس جميعًا؛ لأنه لا فرق عنده بين البريء والجاني. ومن امتنع عن قتل نفس حرَّمها الله تعالى معتقداً حرمة قتلها ولم يقتل؛ فكأنما أحيا الناس جميعاً؛ لأن صنيعه فيه سلامتهم جميعاً.⁵³

3/ حق حرية الاعتقاد.

هذا الحق متضمن في (الفقرة 25 إلى الفقرة 35) ولم تكن الصحيفة بإثبات هذا الحق؛ بل عملت على حمايته بوسيلتين:

الأولى: احترام حق الغير في اعتقاد ما يشاء، وتركه يعمل طبقاً لعقيدته، وعدم إكراهه على اعتناق ما يخالف هذه العقيدة.

الثانية: مجادلة صاحب هذه العقيدة المخالفة بالحسنى، فإن أمكن إقناعه بالعدول عن عقيدته عن طواعية واختيار دون ضغط ولا إكراه فلا حرج في ذلك، وإن ظل على عقيدته فلا يجوز التأثير عليه بما يحمله على تغييرها وهو غير راض.

إن الوثيقة أعلنت من أول وهلة للإنسانية مبدأ مهما من مبادئ حقوق الإنسان، مبدأ عدم الإكراه على الدين، وأعطت في ظلها كل فرد الحرية في أن يختار من المعتقدات ما يشاء.

(⁵³) المختصر في التفسير. ص/113.

الفرق بين حرية الاعتقاد وحرية الارتداد.

لا يفهم من إثبات حرية الاعتقاد في الإسلام؛ إثبات حرية الارتداد عن الإسلام بعد الدخول فيه، فهذه الحرية إنما هي ثابتة لغير المسلم ابتداء وهذا الذي ندعوه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال والتي هي أحسن، فإن استجاب فيها، وإن لن يستجب فلا إكراه في الدين بعد الدعوة والبيان. أما المرتد عن الإسلام فله حكم آخر وهو دعوته فإن رجع فيها، وإلا أقيم عليه حدُّ الردة. قال عليه الصلاة والسلام: ((من بدّل دينه فاقتلوه))⁵⁴.

4/ حق العدل والمساواة.

وهذا الحق تضمنته في الوثيقة في (الفقرة 15: وإنّ ذمة الله واحدة، يُجبر عليهم أديانهم ...). وغيرها من الفقرات التي تؤكد هذا الحق، وهو المساواة في الحقوق والواجبات العامة بين المسلمين وغيرهم.

أما في العقيدة فلا مساواة، وإنما يحضر هنا العدل وهو الفرق بين عقيدة التوحيد والإيمان وغيرها من عقائد الشرك والكفر، كما قال تعالى: { أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويان } [السجدة: 18]. وقال سبحانه: { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [هود: 24].

5/ حق حرية الرأي.

إن كشف الخطأ للوقاية منه أو تجنب التمادي فيه هو صورة عملية للنقد البناء المستنير المخلص. ولا يمكن مماؤسة هذا النقد إلا مع كفالة حرية الرأي. وهذا الحق متضمن في (الفقرة 37: ... وإنّ بينهم النصّح، والنّصيحة، والبرُّ دون الإثم). فحق إبداء الرأي (النصح) الذي يعو إليه الدستور هو ما يؤدي في النهاية إلى خير المجتمع، وتركية القيم الأخلاقية الفاضلة وترسيخها في الوجدان العام، بما يحقق كرامة الإنسان، ويحفظ له إنسانيته.

⁵⁴ (رواه البخاري وغيره عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ومن هديه صلى الله عليه وسلم الحرص على تعميق هذا المبدأ مع أصحابه رضي الله عنهم حينما كان يستحثهم على ممارسة حرية الرأي معه. فكان يستطلع آراءهم في الشؤون العامة، بل وفي المسائل الخاصة ويأخذ بآرائهم...

6/ حق الأمن والمسكن والتنقل.

وهذا من الحريات الأساسية للإنسان، ذلك أن الإنسان كائن متحرك بطبيعته، فالأمن والمسكن، وحركة التنقل قوام الحياة، ومن ضرورتها، كضرورات الماء والهواء، لأن الحركة وسيلة للعمل، والعمل وسيلة للكسب، والكسب وسيلة للحياة، وهذا فضلا عن أن في الحركة والتنقل حماية لصحة الإنسان الجسدية والنفسية على حد سواء.

إذا كانت هذه الحقوق قد أقرتها النظم الوضعية كهدف من أهداف الإنسانية التي توصلت إليها بعد عناء، فإنها في النظام الإسلامي تُعد أمرا طبيعيا ملازما للحياة منذ أن هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأنشأ دولته التي ينص دستورها في الفقرتين (39،47) على حق الأمن والمسكن والتنقل لجميع المتساكنين داخل حدود الدولة الإسلامية الجديدة وخارجها.

7/ حق الفرد في المعونة المالية والاقتصادية (التكافل، والضمان الاجتماعي).

هذه الحقوق الأساسية للإنسان ركزت عليها الصحيفة (الفقرة 3 إلى الفقرة 11). والشائع في الكتابات السياسية والقانونية، وفي الدراسات الاجتماعية أن عهد الإنسان بالوثائق والشرائع التي بلورت حقوقه الإنسانية أو تحدثت عنها مقننة لها ومحددة لأبعادها قد بدأ بإعلان حقوق الإنسان الذي ظهر عام 1789م، ويؤكد الغربيون أنهم استمدوا تلك الحقوق من مبادئ الثورة الفرنسية الكبرى التي أطاحت بالملكية والإقطاع ... فإبان هذه الثورة وضع (أمانويل جوزيف سيس) [1748م-1836م] وثيقة حقوق الإنسان، تلك التي أقرتها الجمعية التأسيسية وأصدرتها بإعلان تاريخي وثيقة سياسية اجتماعية ثورية في 26 أغسطس 1789م... حتى جاء دور تدويلها فدخلت مضامينها ميثاق عصبة الأمم سنة 1920م، ثم ميثاق الأمم المتحدة سنة 1945م، ثم أفردت دوليا بوثيقة خاصة هي: (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) الذي أقرته الأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1948م.

ذلك هو التاريخ الشائع لنشأة موثيق حقوق الإنسان، وهو تاريخ إذا تأملناه وجدناه يمثل بداية التاريخ الأوربي لحقوق الإنسان؛ لأنه يتضح لنا مما سبق أمران:

1/ أن تصور حقوق الإنسان في العالم الغربي لا تاريخ له ولا وجود قبل قرنين أو ثلاثة.
2/ أن هذه الحقوق - بالرغم من أن العالم ما يفتأ يرددتها ويطنطن باسمها - ليس وراءها أية سلطة أو قوة منفذة، بل هي مجرد أمان ورغبات، صُبت في كلمات وألفاظ ساحرة براقعة، عبرت إلى أوروبا في ضوء الثقافة الإسلامية في العصور الوسطى.

فإذا نظرنا إلى تاريخ الإسلام، نجد أنه تقرر إعلان حقوق الإنسان في دستور دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، وأذاع ملخصه الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع، وبهذا يكون قد سبق إعلان الأمم المتحدة بأكثر من أربعة عشر قرناً.

إن المتأمل لمبادئ حقوق الإنسان المتعارف عليها عالمياً اليوم والمذكورة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان يجد أغلبها موجودة وثابتة في التعاليم الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والتي نادى بها الرسول صلى الله عليه وسلم منذ القرن السابع الميلادي، أي: قبل أحد عشر قرناً من عصر التنوير في فرنسا.

مثال: جاء في المادة الثانية من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

" لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين..."

تكاد تكون هذه المادة ترجمة أو نقلاً عن قوله صلى الله عليه وسلم:

((يا أيها الناس! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي

على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى { إن

أكرمكم عند الله أتقاكم }، ألا هل بلغت؟))، قالوا: بلى يا رسول الله! قال: ((فيبلغ الشاهد

55. ((الغائب))

(55) سلسلة الأحاديث الصحيحة: 2700

وهذا الحديث يعتبر أساسا في أسبقية الإسلام في إقرار مبادئ حقوق الإنسان، وعدم التمييز بين إنسان وآخر، بسبب العنصر(عربي، عجمي)، أو اللون (أبيض، أحمر، أسود) أو اللغة (عربية، أعجمية). كما أن بعض الآيات يؤكد عدم التفاضل بين الناس بسبب الجنس أو اللون أو العنصر، قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ } [الروم: 22]. فالاختلاف في اللون وفي اللغة ليس أساسا للتفاضل بين الناس، وإنما هم من نعم الله عليهم، وهذا ما يردده حاليا علماء الاجتماع في أوروبا من أن اختلاف الجنسيات والثقافات واللغات والأجناس إنما هو إثراء للمجتمعات... أما علاقتها بدستور المدينة فإنها تتوافق مع كثير من الفقرات، إما بطريقة مباشرة، وإما بطريقة غير مباشرة.

المحاضرة الثامنة (08):

معالم الخزانة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة

يرتكز الدرس على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

- ٥٥ أهداف المحاضرة.
- ٥٥ أهم مراجع المحاضرة الثامنة.
- ٥٥ معنى الخلافة الراشدة.
- ٥٥ مدة الخلافة الراشدة.
- ٥٥ الخليفة الراشد الأول: أبو بكر الصديق رضي الله عنه [51 ق هـ - 13هـ].
 - نسب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولقبه.
 - من أهم فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
 - من أهم أعمال أبي بكر الصديق رضي الله عنه أثناء خلافته.
 - وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

☞ الخليفة الراشد الثاني: عمر بن الخطاب رضي الله عنه [40 ق هـ - 23 هـ].

- نسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقبه.
- من أهم فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- من أهم أعمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء خلافته.
- وفاة عمر رضي الله عنه.

☞ الخليفة الراشد الثالث: عثمان بن عفان رضي الله عنه [47 ق هـ - 35 هـ].

- نسب عثمان رضي الله عنه ولقبه.
- من فضائل عثمان رضي الله عنه.
- من أهم أعماله أثناء خلافته.
- وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

☞ الخليفة الراشد الرابع: علي بن أبي طالب رضي الله عنه [10 ق هـ - 40 هـ].

- نسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكنيته.
- من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- من أهم أعماله أثناء خلافته.
- وفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
- المعالم الحضارية في عهد الخلافة الراشدة.

أهداف المحاضرة:

- 1/ إبطال شبهة أن عهد الخلافة الراشدة كعهد النبوة لا يخرج عن وصف البداوة.
- 2/ تحقيق معنى الخلافة الراشدة.
- 3/ تحديد مدة الخلافة الراشدة.
- 4/ ذكر نبذة عن الخلفاء الراشدين الأربعة.
- 5/ بيان أهم الإنجازات في عهد كل خليفة راشد.
- 6/ بيان أهم معالم الحضارة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة.

أهم مراجع المحاضرة الثامنة:

- 1/ العواصم من القواصم، ابن العربي المالكي [543هـ] تحقيق: محب الدين الخطيب - محمود مهدي الاستنبولي. ط/2. 1407هـ - 1987م. الناشر: دار الجيل بيروت - لبنان.
- 2/ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية [728هـ]، جمعها: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. عام النشر: 1416هـ/1995م.
- 3/ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي [808هـ]، المحقق: خليل شحادة. ط/2. 1408هـ-1988م. الناشر: دار الفكر - بيروت.
- 4/ الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني [852هـ]. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - 1415 هـ 145./4.
- 5/ تاريخ الخلفاء. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي [ت: 911هـ]. المحقق: حمدي الدمرداش. ط/1. 1425هـ-2004م. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.
- 6/ موسوعة حياة الصحابة من كتب التراث. محمد سعيد مبيض. ط/1، 1421هـ-2000م. مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.

- 7/ الصحيح المسند من فضائل الصحابة. مصطفى العدوي. ط/2، 1419هـ-1998م. دار ابن عفان. المملكة العربية السعودية.
- 8/ أبو بكر الصديق: شخصيته وعصره. علي محمد الصلابي. ط/7، 1430هـ-2009م. دار المعرفة- بيروت لبنان.
- 9/ عمر بن الخطاب: شخصيته وعصره. علي محمد الصلابي. ط/1، 1426هـ-2005م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة مصر.
- 10/ عثمان بن عفان: شخصيته وعصره. علي محمد الصلابي. ط/2، 1431هـ-2010م. دار الفجر للتراث. القاهرة مصر.
- 11/ علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره. علي محمد الصلابي. ط/1، 1426هـ-2005م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة مصر.

تمهيد:

من المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يترك وصية تنص على استخلاف واحد من أصحابه بعينه، وقد سأل علياً رضي الله عنه غير واحد عن تخصيصه أو أحد من آل البيت رضي الله عنهم بوصية من النبي صلى الله عليه وسلم فنفي ذلك. فعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر.⁵⁶

وفي هذا الحديث دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ كل الدين، وأوصى بكل ما أمره به رب العالمين، ولو كانت الوصية باستخلاف شخص معين بعده من جملة ما أمر بتبليغه لعلم ذلك، خاصة إذا كانت الوصية تتعلق بأحد من أهل البيت وفي أمر هو الخلافة. ويؤكد هذا حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً. فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب

(⁵⁶) رواه البخاري: 111. والعقل هنا: الدية.

فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا، وإني والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا، إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا. فقال علي: إنا والله لئن سألتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمَنَعَنَاها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم.⁵⁷

والمقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وترك أمر الاستخلاف شورى بين المسلمين، كما قال سبحانه وتعالى: { وأمرهم شورى بينهم } [الشورى:38].

والذي يطالع السنة يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار في عدد من الأحاديث إلى جوانب مختلفة تتعلق بالخلافة بعده، منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1/ إشارات إلى استخلاف أبي بكر الصديق بعده؛ منها: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يصلي بالناس.⁵⁸

2/ الأمر بالتمسك بسنة الخلفاء الراشدين وأنها من سنة النبي المصطفى الأمين صلى الله عليه وسلم.⁵⁹

3/ ذكر مدة خلافة النبوة وأنها ثلاثون سنة.⁶⁰

4/ الإشارة إلى عام الجماعة الذي تنازل فيه الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، لما قال عليه الصلاة والسلام: ((ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)).⁶¹

(⁵⁷) رواه البخاري: 4447. وقوله: ... عبد العصا؛ هو كناية عن يكون تابعا لغيره، والمعنى: تصير مأمورا عليك. من فتح الباري بشرح صحيح البخاري 143/8.

(⁵⁸) رواه البخاري: 664، ومسلم: 418. عن عائشة رضي الله عنها.

(⁵⁹) رواه أبو داود: 4607، والترمذي: 2676، وابن ماجه: 42، 43. عن العرياض بن سارية رضي الله عنه.

(⁶⁰) رواه أبو داود: 4646. عن سفينة أبي عبد الرحمن رضي الله عنه.

(⁶¹) رواه البخاري: 3629. عن أبي بكر رضي الله عنه.

5/ أمره بالاعتداء بعده صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فقال صلى الله عليه وسلم: ((اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر))⁶². وهذه الأحاديث التي أشرت إلى بعضها عمل بمقتضاها الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا كانت خلافة النبوة مرتبة ترتيبا يتطابق مع ما أشارت إليه هذه الأحاديث بمجموعها لا بانفرادها.

معنى الخلافة الراشدة.

هي خلافة النبوة كما وصفها بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنها سارت على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، فعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))⁶³.

⁶² رواه الترمذي: 3662. عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

⁶³ سبق تخريجه في الحاشية رقم: 4.

شرح غريب هذا الحديث:

ذرفت: العين تذرف؛ إذا دمعت.

وجلت: وجل القلب يوجل: إذا خاف وفزع، والوجل: الفزع.

تعهد: عهد إليه بكذا يعهد، إذا أوصى إليه.

الراشدين: جمع الراشد: اسم فاعل من رشد يرشد رشدا، وهو خلاف الغي. وهو المستقيم على طريق الحق مع تصلب فيه.

المهديين: جمع المهدي، الذي قد هداه الله تعالى إلى الحق.

وإن عبدا حبشيا: أي: أطع صاحب الأمر، واسمع له، وإن كان عبدا حبشيا.

وعضوا عليها بالنواجذ: النواجذ: الأضراس التي بعد الناب، جمع ناجذ، وهذا مثل في شدة الاستمسك بالأمر؛ لأن العض بالنواجذ عض بمعظم الأسنان التي قبلها والتي بعدها.

المهدي: الطريقة والسيرة.

محدثات الأمور: ما لم يكن معروفا لا في كتاب ولا سنة ولا إجماع.

البدعة في الدين: اختراع شيء في الدين ليس له أصل، أو وصف.

فالخلفاء الراشدون هم الخلفاء الأربعة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، الذين استُخلفوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت طريقتهم في الخلافة راشدة، أي: مستقيمة.

مدة الخلافة الراشدة.

من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم إخباره عن الغيب الذي يخبره الله تعالى به ويوحيه إليه، كما قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} [الجن: 26-27]. أي: الله سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحدًا من خلقه، إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه، فإنه يُطلعهم على بعض الغيب، ويرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة يحفظونه من الجن لئلا يسترقوه ويهمسوا به إلى الكهنة.⁶⁴

ومن الغيب الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم مدة الخلافة الراشدة التي هي خلافة النبوة، وأنها ثلاثون سنة، أي: من سنة 11هـ إلى سنة 41هـ.

فعن سفينة أبي عبد الرحمن رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء)) . قال سفينة لسعيد بن جهمان: "أمسك عليك أبا بكر سنتين، وعمر عشرا، وعثمان اثنتي عشرة، وعلي كذا..."⁶⁵ وفي رواية أخرى قال سفينة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم مُلِّكُ بعد ذلك)) . ثم قال سفينة لسعيد بن جهمان: "أمسك خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، ثم قال لي: أمسك خلافة علي" قال: فوجدناها ثلاثين سنة...⁶⁶

فحديث سفينة واضح الدلالة على أن مدة الخلافة الراشدة ثلاثون سنة موزعة على الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر الصديق (سنتان)، ثم عمر بن الخطاب (عشر سنوات)، ثم عثمان بن عفان (ثنتا عشرة سنة)، ثم علي بن أبي طالب (ست سنوات).

⁶⁴ (التفسير الميسر. ص/573).

⁶⁵ (رواه أبو داود: 4646).

⁶⁶ (رواه الترمذي: 2226).

وبعض العلماء يُضعّف حديث سفينة أبي عبد الرحمن رضي الله عنه من حيث السند بسبب الراوي عنه وهو سعيد بن جهمان، ومن حيث المتن باعتبار أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما هو خليفة وبويع بعد الثلاثين السنة التي ذكرت في حديث سفينة.⁶⁷ والجواب أن الحديث صحيح سنداً وامتناً عند أهل الحديث.

قال ابن تيمية [728هـ]: ((واعتمد عليه - أي: حديث سفينة - الإمام أحمد، وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة، وثبته أحمد؛ واستدل به على من توقف في خلافة علي؛ من أجل افتراق الناس عليه؛ حتى قال أحمد: من لم يرتع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله؛ ونهى عن مناكحته، وهو - أي: تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة - متفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف وهو مذهب العامة))⁶⁸.

وفرق بين الخلافة عموماً وخلافة النبوة، فالخلفاء الراشدون خلافتهم لها خاصية لا يشاركون فيها غيرهم، وهي أنها خلافة النبوة، أما غيرهم من الخلفاء فقد يكون خليفة بل ويكون خليفة راشداً كما حصل لعمر بن عبد العزيز إلا أن هذه الخلافة ليست خلافة النبوة التي حدد النبي صلى الله عليه وسلم مدتها بثلاثين سنة.

قال ابن تيمية [728هـ]: ((ويجوز تسمية من بعد الخلفاء الراشدين (خلفاء) وإن كانوا ملوكاً؛ ولم يكونوا خلفاء الأنبياء بدليل ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كانت بنو إسرائيل يسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر؛ قالوا: فما تأمرنا؟ قال: " فؤا بيعة الأول فالأول؛ ثم أعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم ".

(⁶⁷) انظر: العواصم من القواصم، ابن العربي المالكي [543هـ] تحقيق: محب الدين الخطيب - محمود مهدي الاستانبولي. ط/2. 1407هـ - 1987م. الناشر: دار الجيل بيروت - لبنان. ص/207-208. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي [808هـ]، المحقق: خليل شحادة. ط/2. 1408هـ-1988م. الناشر: دار الفكر - بيروت. 650/2.

(⁶⁸) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمعها: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية. عام النشر: 1416هـ/1995م. 18/35-19.

فقوله: " فتكثر " دليل على من سوى الراشدين؛ فإنهم لم يكونوا كثيرا. وأيضا قوله: {فوا بيعة الأول فالأول} دل على أنهم يختلفون؛ والراشدون لم يختلفوا...}}⁶⁹.

الخليفة الراشد الأول:

أبو بكر الصديق رضي الله عنه [51 ق هـ - 13 هـ].

نسب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولقبه.

هو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي.

يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في النسب في (مرة بن كعب).

لقبه: الصديق، العتيق.

من أهم فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

1/ هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه من خصائصه.⁷⁰

2/ أول من أسلم من الرجال.⁷¹

3/ أحد العشرة المبشرين بالجنة.⁷²

4/ لم يسجد لصنم، وكان مجانبا لعادات الجاهلية القبيحة.

5/ شهد كل الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم.

6/ أسلم على يديه ستة من العشرة المبشرين بالجنة: عثمان بن عفان، الزبير بن العوام، عبد الرحمن

بن عوف، سعد بن أبي وقاص، طلحة بن عبيد الله، أبو عبيدة عامر بن الجراح. رضي الله عنهم.

7/ صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة.

8/ ذكره الله تعالى في القرآن الكريم.

⁶⁹) المرجع نفسه. 20/35.

⁷⁰) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. الناشر: دار

الكتب العلمية - بيروت. الطبعة: الأولى - 1415 هـ. 145/4.

⁷¹) الإصابة في تمييز الصحابة. 149/4.

⁷²) رواه الترمذي: 3747. عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

- 9/ أحب الرجال إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
- 10/ قدمه النبي صلى الله عليه وسلم ليصلي بالناس في مرض موته.
- 11/ صاهره النبي صلى الله عليه وسلم في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.
- 12/ كان سباقا إلى الخيرات.
- من أهم أعمال أبي بكر الصديق رضي الله عنه أثناء خلافته.
- 1/ حروب الردة. عن أبي حصين قال: ((ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر، ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبي من الأنبياء)).⁷³
- 2/ جمع القرآن الكريم في مصحف واحد بعدما كان مفرقا في الصدور والسطور.⁷⁴
- وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
- توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة 13هـ وعمره 63 سنة، ودفن بجوار النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها. ودامت خلافته سنتين.

⁷³) تاريخ الخلفاء. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي [ت: 911هـ]. المحقق: حمدي الدمرداش. ط/1.

1425هـ-2004م. الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.

⁷⁴) انظر في موضوع جمع القرآن الكريم إلى: جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته). أكرم عبد خليفة حمد الدليمي. (أصل الكتاب رسالة علمية، بكلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد، أشرف عليها الدكتور عمر محمود حسين السامرائي). ط/1.

1427 هـ - 2006م. الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي. ط/بدون. تاريخ/ بدون. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة. علي بن سليمان العبيد. ط/بدون. تاريخ/ بدون. الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

الخليفة الراشد الثاني:

عمر بن الخطاب رضي الله عنه [40 ق هـ - 23 هـ].

نسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقبه.

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوي القرشي.

يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في النسب في كعب بن لؤي.

لقبه: الفاروق؛ لأنه كان يفرق بين الحق والباطل.

من أهم فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

1/ أول من لقب بأمر المؤمنين.

2/ أحب الرجال إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

3/ أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يموت شهيدا.⁷⁵

4/ أحد العشرة المبشرين بالجنة.

5/ شهد كل الغزوات مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

6/ لما أسلم أعز الله به الإسلام والمسلمين. قال عليه الصلاة والسلام: ((اللهم أعز الإسلام

بعمر بن الخطاب))⁷⁶، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((ما زلنا أعزّة منذ أسلم

عمر))⁷⁷. وقال عمر رضي الله عنه: ((إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز

بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله))⁷⁸.

7/ صاهره النبي صلى الله عليه وسلم في حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

⁷⁵ (رواه البخاري: 3472. عن أنس رضي الله عنه.

⁷⁶ (رواه ابن ماجة: 105. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وانظر: السلسلة الصحيحة: 3225.

⁷⁷ (رواه البخاري: 3684.

⁷⁸ (رواه الحاكم في (المستدرک علی الصحیحین)، وقال: صحیح علی شرط الشيخین. ووافقہ الذهبي. انظر: السلسلة

الصحيحة: 51.

8 / يخاف منه الشيطان، وما رأى الشيطان عمر سالكا طريقا إلا سلك الشيطان طريقا غيره. قال عليه الصلاة والسلام: ((إن الشيطان يَفِرُّكَ منك يا عمر))⁷⁹.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((إيه يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده! ما لقيك الشيطان سالكا فجا؛ إلا سلك فجا غير فحك))⁸⁰. وهذا دال على صلابته في الدين، واستمرار حاله على الجد الصريف، والحق المحض.⁸¹

9 / مُحَدَّثٌ ملهم، جعل الله الحق على لسانه وقلبه.

قال عليه الصلاة والسلام: ((إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثُونَ، وإنه إن كان في أمي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب))⁸².

وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه))⁸³. وفي رواية: ((إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به))⁸⁴.

10 / نزلت آيات في القرآن الكريم توافقه على رأيه.⁸⁵

(⁷⁹) رواه أحمد وغيره. عن بُريدة رضي الله عنه. انظر: السلسلة الصحيحة: 1609. ليفرق منك: ليخاف منك، من الفَرْق؛ وهو: الخوف.

(⁸⁰) رواه البخاري: 3294، 3683، 6085. ومسلم: 2396. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. والفج: الطريق الواسع.

(⁸¹) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني. 47/7.

(⁸²) رواه البخاري: 3469، 3689. عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه مسلم: 2398. عن عائشة رضي الله عنها. واللفظ للبخاري. قال عبد الله بن وهب - أحد رجال إسناد رواية مسلم -: محدثون ملهمون.

(⁸³) رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. انظر: صحيح الجامع الصغير: 1736

(⁸⁴) رواه أبو داود: 2962، وابن ماجه: 108. عن أبي ذر رضي الله عنه.

(⁸⁵) نظمها السيوطي [911هـ] في أبيات في كتابه الحاوي للفتاوي، ط/بدون، سنة النشر: 1424 هـ - 2004 م. الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت. 542/1.

تحت عنوان: قطف الثمر في موافقات عمر، ومنها قوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ ... عَلَى نَبِيِّهِ الَّذِي اجْتَبَاهُ

يَا سَائِلِي وَالْحَادِثَاتُ تُكْثِرُ ... عَنِ الَّذِي وَافَقَ فِيهِ عَمْر

وَمَا يُرَى أَنْزَلَ فِي الْكِتَابِ ... مُوَافِقًا لِرَأْيِهِ الصَّوَابِ

خُذْ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فِي آيَاتِ ... مَنْظُومَةٍ تَأْمُرُ مِنْ شَتَاتِ

فَفِي الْمَقَامِ وَأَسَارَى بَدْرِ ... وَآيَتِي تَظَاهِرُ وَسْتَرِ

من أهم أعمال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أثناء خلافته.

1/ كثرة الفتوح الإسلامية، ومن ذلك فتح بلاد فارس، وفتح بيت المقدس.

2/ أول من دَوَّن الدواوين.

3/ أول من أرخ بالتأريخ الهجري.

وفاة عمر رضي الله عنه.

استشهد عمر رضي الله عنه حيث طعنه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي غلام المغيرة بن شعبة، وهو يصلي بالناس صلاة الصبح، وذلك سنة 23هـ، وكان عمره 63 سنة، ودفن بجوار أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنها، وكانت مدة خلافته عشر سنين.

الخليفة الراشد الثالث:

عثمان بن عفان رضي الله عنه [47 ق هـ - 35هـ].

نسب عثمان رضي الله عنه ولقبه.

هو أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي.

يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في النسب في عبد مناف، فهو أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في النسب من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

لقبه: ذو النورين؛ لأنه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم. تزوج رقية رضي الله عنها ثم لما توفيت تزوج أختها أم كلثوم رضي الله عنها.

من فضائل عثمان رضي الله عنه.

1/ أحد العشرة المبشرين بالجنة.

2/ شهد كل الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم، باستثناء غزوة بدر بسبب مرض زوجته بنت النبي صلى الله عليه وسلم، حيث قام عليها، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لك أجر

رجل شهّد بدرا وسهمه ((⁸⁶ ولم يشهد أيضا غزوة ذات الرقاع وغطفان بأمر وتكليف من النبي صلى الله عليه وسلم.

3/ ذو النورين فلا يُعرف أن أحدا تزوّج بنتي نبي وأي نبي إلا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

4/ رجل حيي، يستحي منه النبي صلى الله عليه وسلم، وتستحي منه الملائكة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن عثمان حيي ستير، تستحي منه الملائكة))⁸⁷ وقال: ((ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة؟))⁸⁸.

5/ هاجر الهجرتين (الأولى والثاني) إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة.

6/ كثير الإنفاق في سبيل الله تعالى، فهو الذي جهّز جيش العسرة في غزوة تبوك، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم))⁸⁹.

7/ أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يموت شهيدا.⁹⁰

من أهم أعماله أثناء خلافته.

1/ واصل الفتوح الإسلامية، ففتح أرمينيا، والقوقاز، وقبرص.

2/ وحد المسلمين على مصحف واحد على لسان قریش، وهو ((المصحف الإمام)).

3/ أول من وسع المسجد الحرام، والمسجد النبوي.

4/ أول من أمر بالأذان الأول للجمعة.

5/ أول من اتخذ جهاز الشرطة.

6/ أول من اتخذ دارا للقضاء.

⁸⁶ (رواه الترمذي: 3706. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها. وقال: حديث حسن صحيح.

⁸⁷ (رواه أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها. السلسلة الصحيحة 1678.

⁸⁸ (رواه مسلم: 2401. عن عائشة رضي الله عنها.

⁸⁹ (رواه الترمذي: 3701. عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه. وقال الترمذي: حسن غريب.

⁹⁰ (رواه البخاري: 3472. عن أنس رضي الله عنه.

وفاة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

استشهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد محاصرته من قبل الخوارج، فقتلوه في بيته وهو صائم عاكف على تلاوة القرآن الكريم صبيحة يوم عيد الأضحى، وذلك سنة 35هـ، وعمره 82 سنة، ودفن بالبقيع، ومدة خلافته 12 سنة.

الخليفة الراشد الرابع:

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

[10 ق هـ - 40هـ].

نسب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكنيته.

هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي. ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا تراب في قصة⁹¹، وكانت أحب كناه إليه.

من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

1/ أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم.

2/ أحد العشرة المبشرين بالجنة.

3/ شهد كل الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم.

4/ زوج فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم.

5/ أبو الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

6/ رجل يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

7/ شجاع من الطراز الأول، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: ((والذي كرم وجه محمد

لأعطينها-أي: الراية- رجلا لا يفر، هاك يا علي))⁹².

⁹¹) رواها البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

⁹²) رواه أحمد: 11139. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

8/ منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم كمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم.⁹³

9/ أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يجب إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.⁹⁴

10/ أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يموت شهيدا.⁹⁵

من أهم أعماله أثناء خلافته.

1/ محاربه للخوارج، وللشيعة الغلاة.

2/ سعيه لاستقرار أوضاع الخلافة، وتأخير طلب دم عثمان.

وفاة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قتله الخارجي الشقي عبد الرحمن بن ملجم وهو خارج من المسجد بالكوفة سنة 40هـ، ومدة خلافته 6 سنوات.

المعالم الحضارية في عهد الخلافة الراشدة.

بعد هذه النبذة المختصرة عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ أن بيان أهم المعالم

الحضارية في عهدهم، والتي هي كالآتي:

أولاً: الحفاظ على دين الدولة.

ويظهر هذا من خلال قيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه بمحاربة المرتدين، الذين لو تركوا

على ما أرادوا لاقتدى بهم ضعاف الإيمان من المسلمين فارتدوا عن دين الله تعالى مثلهم.

وأول مقاصد الشريعة الإسلامية: حفظ الدين، ومن وسائل حفظه تحريم الردة، وإقامة الحد على

المرتد، وإعلان الحرب على المرتدين. وسبق وأن بينا حق حرية الاعتقاد في خصائص الحضارة

الإسلامية، وكذلك في معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة وذكرنا الفرق بين حرية الاعتقاد،

وحرية الارتداد، فالحرية الأولى أقرها الإسلام؛ لأنه لا إكراه في الدين، والحرية الثانية منعها؛ لأنها

من باب نقض العهد وخيانة الأمانة.

⁹³ انظر: صحيح البخاري: 4154، صحيح مسلم: 2404.

⁹⁴ رواه الترمذي: 3736 وقال: حسن صحيح، والنسائي: 5018، وابن ماجه: 114.

⁹⁵ رواه أحمد والحاكم واللفظ له ورواه غيرهما عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما. انظر: السلسلة الصحيحة: 1743.

ثانيا: إثبات هيبة الدولة.

ويؤخذ هذا المعلم من إنفاذ أبي بكر الصديق رضي الله عنه جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما، حيث أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يتوجه هذا الجيش بإمرة أسامة بن زيد رضي الله عنهما إلى الروم، فمات النبي صلى الله عليه وسلم قبل انطلاق الجيش، فما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلا تنفيذ هذا الأمر ليعلم الروم والفرس والمنافقون ومن يتربص بالإسلام والمسلمين الدوائر أن الدولة الإسلامية متماسكة، وأن كلمة المسلمين واحدة، وأن غياب الرجال في الأمة الإسلامية لا يعني انقطاع أمثالهم، فالأمة الإسلامية ولود لا ينقطع منها الرجال المخلصون الصادقون، والأبطال المضحون إلى يوم القيامة.

ثالثا: توحيد لغة مصدر التلقي الأول.

وهذا نجده في خلافة عثمان رضي الله عنه حيث انتشر اللحن في العربية من طرف الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام بسبب الفتوح الإسلامية، ولم يقف لحنهم في الكلام بل تعدى ذلك إلى اللحن في القرآن الكريم، وهذا بلا شك منذر شر، لأن اللحن في القرآن الكريم يفضي إلى تحريف معنى القرآن، وهذا هو عين الضلال والانحراف عن صراط الله المستقيم، وذلك حين يفهم القرآن الكريم، ويُفسَّر على غير مراد الله تعالى.

رابعا: السياسة الشرعية الحكيمة في وقت الأزمات العامة.

السياسة القائمة على مراعاة الحال، وتوفير الشروط، وانتفاء الموانع، نلاحظ ذلك على سبيل المثال في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة عام القحط والجفاف حيث أسقط حد السرقة مؤقتا مراعاة لحال السارقين الذين يرق الواحد فيهم لا من أجل أن يصير غنيا؛ وإنما من أجل أن يسد جوعه، ويحفظ مهجته لا غير.

ومن تدابيره: أنه أخر جمع الزكاة كزكاة الزروع وبهيمة الأنعام، وامتنع من أكل اللحم، ومنع على ولده الفاكهة، وبدأ بإعالة رعيته قبل نفسه وأهله. كما همَّ أن يدخل على كل عائلة مثلها من العدد ليقتسموا معها القوت قسمين.

أ/ عن عبد الله بن عمر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال عام الرمادة - وكانت سنة شديدة ملمة، بعدما اجتهد عمر في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها، حتى بلحت الأرياف كلها؛ مما جهدها ذلك - فقام عمر يدعو - فقال: ((اللهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال)) . فاستجاب الله له وللمسلمين، فقال حين نزل به الغيث: ((الحمد لله، فو الله لو أن الله لم يفرجها ما تركت بأهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدا))⁹⁶.

ب/ عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: أن عمر أخر الصدقة عام الرمادة فلم يبعث السعاة فلما كان قابل ورفع الله ذلك الجذب أمرهم أن يخرجوا فأخذوا عقالين فأمرهم أن يقسموا فيهم عقالا ويقدموا عليه بعقال.⁹⁷

ج/ عن أسلم: أن عمر حرم على نفسه اللحم عام الرمادة حتى يأكله الناس.⁹⁸

د/ عن عيسى بن معمر قال: نظر عمر بن الخطاب عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده فقال: بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين تأكل الفاكهة وأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - هزلي، فخرج الصبي هاربا وبكى فأسكت عمر بعدما سأل عن ذلك، فقالوا: اشتراها بكف من نوى.⁹⁹

هـ/ عَنْ أَبِيهِ أَسْلَمَ، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ عَامَ الرَّمَدَاتِ، وَأَجْدَبَتْ بِيَلَادِ الْأَرْضِ، كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: ((مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْعَاصِ بْنِ الْعَاصِ لَعَمْرِي مَا تُبَالِي إِذَا سَمِنْتَ، وَمَنْ قَبْلَكَ أَنْ أَعْجَفَ أَنَا وَمَنْ قَبْلِي، وَيَا غَوَاةً)) . فَكَتَبَ عَمْرُو: " سَلَامٌ، أَمَّا بَعْدُ لَبَيْكَ لَبَيْكَ أَتَتَكَ عَيْرٌ أَوْلَاهَا عِنْدَكَ، وَأَخْرَجْتَهَا عِنْدِي، مَعَ أَيِّ أَرْجُو أَنْ أَجِدَ سَبِيلًا أَنْ أَحْمِلَ فِي الْبَحْرِ، فَلَمَّا قَدِمْتَ أَوْلَ عَيْرٍ دَعَا الرَّبِيرَ، فَقَالَ: أَخْرُجْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْعَيْرِ، فَاسْتَقْبِلْ بِهَا بُحْدًا، فَاحْمِلْ إِلَى كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تُحْمِلَهُمْ، وَإِلَى مَنْ لَمْ تَسْتَطِعْ حَمْلَهُ فَمُرْ لِكُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ بِبَعِيرٍ بِمَا عَلَيْهِ، وَمُرَّهُمْ فَلْيَلْبَسُوا كِيَّاسَ الَّذِينَ فِيهِمْ الْحِنِطَةُ، وَلْيَنْحَرُوا الْبَعِيرَ، فَلْيَحْمِلُوا شَحْمَهُ،

⁹⁶) رواه البخاري في الأدب المفرد: 562. بسند صحيح.

⁹⁷) أخرجه ابن سعد في الطبقات. 323/3.

⁹⁸) أخرجه ابن سعد في الطبقات. 313/3.

⁹⁹) أخرجه ابن سعد في الطبقات. 313/3.

وَلْيَقْتَدُوا لِحَمَمَهُ، وَلْيَأْخُذُوا جِلْدَهُ، ثُمَّ لِيَأْخُذُوا كَمِيَّةً مِنْ قَدِيدٍ، وَكَمِيَّةً مِنْ شَحْمٍ، وَحِفْنَةً مِنْ دَقِيقٍ، فَيَطْبُخُوا، فَيَأْكُلُوا حَتَّى يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِرِزْقٍ (...)).¹⁰⁰

خامسا: رعاية الأولويات في مصالح الدولة.

يظهر هذا جليا في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قدم استقرار أوضاع الدولة بعد مقتل عثمان على السعي في طلب دمه والانتقام من قاتليه، وهذا الذي خالفه فيه أهل الشام وفي مقدمتهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ولا شك أن رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه أصوب.

سادسا: الحرية السياسية من خلال إرساء مبدأ الشورى.

وهذا المبدأ هو الذي تم عليه اختيار الخلفاء الراشدين، حتى تحولت الطريقة إلى المثلك وفقا لما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، كما في حديث سفينة أبي عبد الرحمن مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(¹⁰⁰) رواه ابن خزيمة في صحيحه: 2367.

المحاضرة التاسعة ((09)):

شبهات

حول الحضارة الإسلامية

يرتكز الدرس على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

- ٥٥ أهداف المحاضرة التاسعة.
- ٥٥ أهم مراجع المحاضرة التاسعة.
- ٥٥ تعريف الشبهة.
- ٥٥ رواد إيراد الشبهات حول الحضارة الإسلامية.
- ٥٥ الدوافع من وراء حمل الحاملين على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية.
- ٥٥ مجالات إيراد الشبهات حول الحضارة الإسلامية.
- ٥٥ رد الشبهات منهج رباني نبوي.
- ٥٥ ضوابط الرد على الشبهات حول الإسلام وحضارته وتاريخه.
- ٥٥ من المزالق في رد الشبهات حول الإسلام وحضارته وتاريخه.
- ٥٥ من أهم الشبهات حول الحضارة الإسلامية.
- شبهة أن الإسلام انتشر بالسيف، ويجذب العنف.
- شبهة أن الإسلام يحارب العلم.
- شبهات أخرى.

أهداف المحاضرة التاسعة:

- 1/ التعريف بالشبهة التي يراد بها هدم الحضارة الإسلامية.
- 2/ ذكر رواد إيراد الشبهات حول الحضارة الإسلامية.
- 3/ بيان الدوافع من وراء حمل الحاملين على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية.
- 4/ بيان مجالات الحضارة الإسلامية التي توردها الشبهات.
- 5/ تقرير أن رد الشبهات منهج رباني نبوي.
- 6/ ذكر ضوابط الرد على الشبهات حول الإسلام وحضارته وتاريخه.
- 7/ التحذير من بعض المزالق في رد الشبهات حول الإسلام وحضارته وتاريخه.
- 8/ ذكر أهم الشبهات حول الحضارة الإسلامية.

أهم مراجع المحاضرة التاسعة:

- 1/ لسان العرب، ابن منظور [711هـ]. ط/3، 1414هـ. دار صادر - بيروت.
- 2/ أثر العلماء المسلمين في الحضرة الأوربية. أحمد علي الملا. ط/2. 1981/1404. دار الفكر دمشق. ص/ 82. مدى تأثير الشريعة الإسلامية بالفقه الروماني... مناقشة المستشرقين... أوجه الخلاف... مهم.
- 3/ الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس. ط/1، 1431هـ - 2010م، الصحوة للنشر والتوزيع. ص/299. القيم الإنسانية حوارية في الحضارة الإسلامية وهجوم الحضارة الغربية على الإسلام. ص/305. صدام الحضارات...
- 4/ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. 368/ محاولات ربط الفكر الإسلامي بالتراث الإغريقي. ص/371. الدوافع التي تدفع المتحاملين على التراث الإسلامي وعلى الحضارة الإسلامية... ذكر خمسة دوافع.

- 5/ الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة. شوقي أبو خليل ط/2.
- 1417هـ/1996م. دار الفكر بدمشق. ص/184. هل هناك حضارة عربية وإسلامية أو أن العرب القدماء لم يرفدوا نهر الحضارة بشيء وإن المسلمين كانوا وسطاء(سعاة بريد) ترجموا ونقلوا (المعجزة اليونانية) إلى أوربة؟ مهم.
- 6/ المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية. وحيد الدين خان. المفكر الهندي الكبير. ترجمة سيد رئيس أحمد الندوي، مراجعة ظفر الإسلام خان. ط/1. 1414هـ-1994م. دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة.
- 7/ المستشرقون ومشكلات الحضارة. عفاف صبره. 1985م. دار النهضة العربية. للطبع والنشر والتوزيع. موقف المستشرقين من الإسلام وهجومهم عليه: القرآن، السنة النبوية، الفقه الإسلامي، النظم الإسلامية [الحكم الاقتصاد الاجتماع]، من العلوم الحديثة [الجغرافيا، الفلك، علم النبات والحيوان، علم الطب، علم الكيمياء]. 177-188. الإسلام ومشكلات الحضارة والمدنية الحديثة. مهم.
- 8/ دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق. 85. إسهامات العرب المسلمين في العلوم التطبيقية.
- 9/ نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي. عبد الرحمن علي الحجي. ط/3. 1399هـ-1979م. مكتبة الصحوة. ص/55 بمفتريات شاملة في تفسير التاريخ الإسلامي 55/كدافع الغنيمة و61/التفسير المادي و72/انتشار الإسلام بالسيف و75/التفسير القومي.
- 10/ منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. نصر الدين القاضي. ص/250. تنفيذ شبهة حول الشريعة الإسلامية كاقْتباس التشريع الإسلامي من القانون الروماني.
- 11/ خصائص الحضارتين الإسلامية والغربية . دراسة في الحوار الحضاري . أطروحة تقدم بها رعد سليمان حسين الجبوري . إلى مجلس كلية أصول الدين / الجامعة الإسلامية . وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة أصول الدين / تخصص فكر إسلامي . 1427هـ-2007م.
- 12/ شبهات المشككين. تأليف مجموعة من المؤلفين. موقع وزارة الأوقاف المصرية.

تمهيد:

لم نعلم أن حضارة تعرضت للاعتداء والحرب والتشويه ما تعرضت له الحضارة الإسلامية؛ بل إنني أقول جازما لو تعرضت أي حضارة من الحضارات الأخرى لعشر معشار ما سُلط على الحضارة الإسلامية لما بقي لها عين ولا أثر.

وهذا يدل على صحة بنیان الحضارة الإسلامية وقوة أساسها وهو الإسلام الذي حفظه الله تعالى بحفظ مرجعه المعصوم القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. ومن أساليب الأعداء في حرب الحضارة الإسلامية أسلوب إثارة الشبهات حولها؛ قصد تدميرها، وزرع الشك في المسلمين المتحضرين بها، وصد غير المسلمين المعجبين بها من الاستفادة منها.

وتتلخص هذه الشبهات في حرب الإسلام نفسه من الجهة الحضارية، وهذه حلقة من حلقات الحروب التي يشنها الأعداء ضد الإسلام من مختلف الجهات والجهات منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبالتحديد منذ نزول قوله تعالى: { فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين } [الحجر:94]. إلى يوم الناس هذا.

تعريف الشبهة.

1/ الشبهة في اللغة العربية: الالتباس. والمشتبهات من الأمور: المشكالات. وشبه عليه: خلط عليه الأمر حتى اشتبه بغيره.

وفي قول حذيفة: وذكر فتنة فقال: تُشَبَّه مُقْبِلَةٌ وَتُبَيَّنْ مَدِيرَةٌ. قال شمر: معناه أن الفتنة إذا أقبلت شَبَّهَتْ على القوم وأرثم أنهم على الحق حتى يدخلوا فيها ويركبوا منها ما لا يحل، فإذا أدبرت وانقضت بان أمرها، فعلم من دخل فيها أنه كان على الخطأ. والشبهة: الالتباس.¹⁰¹

2/ وما نقلته في التفسير اللغوي للشبهة هو المقصود هنا وهو أن الشبهة التي تثار حول الحضارة الإسلامية ما كان فيها التباس ومشكالات وخلط، حتى يصل الأمر إلى أن يلتبس الحق بالباطل، ويختلط الحق بالباطل ويقع الإشكال والاشتباه والشك.

(¹⁰¹) لسان العرب، لابن منظور [711هـ]. ط/3. 1414هـ. دار صادر بيروت. 504-503/13.

رواد إيراد الشبهات حول الحضارة الإسلامية.

إن هذه الشبهات التي أثّرت حول الحضارة الإسلامية إنما صدرت من المنحرفين في مناهجهم الزائغين في قلوبهم من اليهود الحاسدين، والنصارى الصليبيين، والمستشرقين الحاقدين، والمنافقين المخادعين ... وغيرهم الذين يريدون هدم الحضارة الإسلامية وضربها من القواعد، أو على الأقل أن يشككوا في ازدهارها وتفوقها وإمكانية عودتها وقيامها ونهضتها وقيادتها للعالم من جديد. وفي أمثالهم قال الله تعالى: ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة... ﴾ [آل عمران: 7]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم)) [رواه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها].

"إن الغربيين يعملون على إضعاف المسلمين في إسلامهم أولاً وحضارتهم ثانياً، وفعلاً استطاع الأوروبيون أن يدخلوا إلى البلاد الإسلامية كثيراً من المذاهب المادية، والفكر المادي الذي سبب لنا مشكلات حضارية كبيرة، وأغوى شبابنا، مما يدعوننا إلى البحث في هذه المذاهب والأفكار؛ لنحدد نوعية المشكلات الحضارية. أفكار فلسفية عقائدية مثل فلسفة هيغل والوجودية وأفكار اقتصادية وسياسية مثل التيار الشيوعي الماركسي، والفكر الرأسمالي، ومذهب الليبرالية الديمقراطية ... وكل هذه الأفكار أدت إلى مشكلات حضارية في المجتمعات الإسلامية، وخلفت في هذه المجتمعات أفراداً آمنوا بها بحكم ضعف إيمانهم، وأفراداً قاوموها ودفعوها، كما أنها أدت إلى نشأة حركات دينية لهدم مبادئ الإسلام تحت اسم التقدمية، مثل حركة الأحمدية والقاديانية في الهند، والبهائية في البلاد الإسلامية الأخرى"¹⁰².

إن هذا العدوان على الإسلام عموماً وعلى الحضارة الإسلامية خصوصاً يرجع إلى سنة من سنن الله تعالى في هذا الكون وهي: الصراع بين الحق والباطل الذي بدأت قصته مع بداية خلق الإنسان، مع بداية خلق أبينا آدم وأما حواء عليهما السلام: ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ﴾ [طه: 117].

(¹⁰²) المستشرقون ومشكلات الحضارة. عفاف صبره. 1985 م. دار النهضة العربية. للطبع والنشر والتوزيع. ص/188.

الدوافع من وراء حمل الحاملين على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية.¹⁰³

1/ الحقد والحسد والبغى وسلب كل خير عن غيرهم وإصاق كل خير بهم أو بأصولهم وأصول حضارتهم.

2/ جهلهم بطبيعة الإسلام، وبمنهجه في الحياة، ورسالته الجامعة المحفوظة، التي جاءت للعالمين، لتحيي رسالة الأنبياء والمرسلين.

3/ تصورهم الخاطئ للمسيحية، وقياسهم الإسلام كدين على تلك التصورات المسيحية اللاهوتية.

4/ اضمحلال الشرق، وضياع المسلمين، وتخلفهم، واستعمارهم، جعل الكثيرين يستهين بهم وبتراثهم.

5/ جهل شعوبهم بالإسلام، وجهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم، وبما يحمل من ثقافة وحيوية.

مجالات إيراد الشبهات حول الحضارة الإسلامية.¹⁰⁴

لم يسلم الإسلام وحضارته من طعن الطاعنين وتشبيه المشبهين في كل ماله صلة بالإسلام سواء من قريب أو من بعيد، فالشبهات التي نتحدث عنها طالت القرآن الكريم، والسنة النبوية، والسير النبوية، والتاريخ الإسلامي، والفقهاء الإسلامي، والنظم الإسلامية، واللغة العربية، والأخلاق الإسلامية... حتى العلوم التجريبية والنظرية التي نبغ فيها المسلمون وكان لهم الفضل في تطويرها كالطب والصيدلة والفلك والرياضيات والهندسة... حتى الأعمال وفي مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجاته أمهات المؤمنين، وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وكثير ممن جاؤوا بعدهم من التابعين، وأتباع التابعين، ومن تبعهم بإحسان ممن كان لهم الأثر الحسن في بناء الحضارة الإسلامية وتقدمها وازدهارها؛ لم يسلموا من هذا العدوان أيضاً.

يريدون تفرغ الإسلام من محتواه، وتجريد الحضارة الإسلامية من مضمونها. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كمال هذا الدين وعلى قوة حضارته التي بقي أصلها ثابت وفرعها في السماء لم تحتثها هذه العواصف الهوجاء حتى في مراحل ضعفها التي تمر بها؛ لأنها باختصار

(¹⁰³) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ص/371.

(¹⁰⁴) انظر على سبيل المثال إلى طعن المستشرقين على العلوم الحديثة التي كان الفضل فيها للمسلمين واقعا وتاريخا: المستشرقون ومشكلات الحضارة. عفاف صبره. 1985م. دار النهضة العربية. للطبع والنشر والتوزيع. 177-188.

حضارة القرآن الذي حفظه الله تعالى وحفظ كل ماله صلة بالقرآن والحضارة الإسلامية حضارة قرآنية. قال الله تعالى: { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } [الحجر:9].

كما يدل إفلاس هؤلاء الذين بدل أن ينافسوا حضارتنا في مضمار الرقي والتقدم كما نافستهم حضارتنا في كثير من الميادين؛ راحوا يسعون في هدمها لينبوا على أنقاضها.

وإذا أتتكَ مذمتي من ناقص () فهي الشهادة لي بأنِّي كاملٌ

يقول عبد الحلیم عويس:

((ومع مطلع العصر الحديث، وشعور الغرب بانخزاه في الحروب الصليبية، وإصراره على الاستمرار في حربه الصليبية على العالم الإسلامي-بوسائل أخرى- عمد الغرب إلى تجنيد كتائب من المستشرقين؛ جعل عملها ترجمة أعمال المسلمين بقصد تشويهها، لا سيما ترجمة معاني القرآن، ثم العمل على تشويه كل أسس الإسلام والمسلمين، من قرآن وسنة، ورسول وصحابة، وشريعة وحضارة... وكل ذلك بهدف نزع الثقة من نفوس المسلمين؛ الذين كانوا أساتذة العالم لأكثر من عشرة قرون كما يقول (ول ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) ... وبالتالي يصابون بهزيمة داخلية، وشك فيما قدموه، وشعور بالدونية ... التي تنزاح مساحتها فتشمل - بدلا من التخلف العلمي وحده بعد ظهور الثورة الصناعية- جوانب العقيدة والشريعة ... والإسلام كله)).¹⁰⁵

وسأذكر نموذجا لبعض الحاقدين على الإسلام وحضارته، وما تضمنته كلامه من الشبهات الهدامة والمشككة.¹⁰⁶

هنري لامانس¹⁰⁷: من اليسير جدًّا أن نتلمس مبدأ الحقد لدى (لامانس) في كل ما جاء به الإسلام، فإن (لامانس) قد اعتبر أن الإسلام هو الحاجز الذي حال دون انتشار عقيدته المسيحية في ربوع الأرض، وذلك في قوله: "ولولا الإسلام لاستطاع اليهود والنصارى أن يقتسموا الجزيرة العربية".

¹⁰⁵ الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحلیم عويس. ط/1. 1431هـ/2010م. الصحوة للنشر والتوزيع. ص/303.

¹⁰⁶ انظر: مستشرقون وقفوا ضد الإسلام. ياسر تاج الدين حامد. تاريخ الاضافة: 1436/12/3 هجري- 2015/9/16 ميلادي - رابط الموضوع: <https://www.alukah.net/sharia/0/91930>.

¹⁰⁷ بلجيكي الأصل، فرنسي الجنسية، من الآباء اليسوعيين.

وقد كان موقف (لامانس) من الروايات الإسلامية - سواء ضمتها كتب الحديث، أو السير - موقفاً موحدًا، يتمثل في اتهام المسلمين باختراع كل المادة الموجودة فيهما من أجل تفسير القرآن، قال: "إن السيرة مثلها في ذلك مثل الحديث، ذات هدف تفسيري. إنها مادة محولة مباشرة من النص القرآني؛ لتخدمه في التعليق عليه، ولهذا السبب فقد كان عليها أن تضيء في حكايات دقيقة وملينة بالألوان إشارات القرآن المظلمة، والتلميحات الأكثر غموضاً في الآيات.

إنها تصطاد المجهول وغير المتعين الذي كثيراً ما سبب الحيرة في سور القرآن. إنها نصب تذكاري يذكر الأسماء والتواريخ التي كان أبو القاسم محمد يتعد عنها بحذر شديد". وهذا القول يتعارض تمامًا مع ما أثبتته (موريس بوكاي) من مدى صحة الأحاديث النبوية - المشهود لها عند علماء المسلمين بالصحة - وكيف تم جمعها وتوثيقها بشكل لم ير العالم له مثل في أي من إخبارات الماضي، وكيف فهم بوكاي أنها القسم الآخر التشريعي عند المسلمين، وذلك يتضح من قوله: "لا يشكل القرآن الكريم المصدر الوحيد للعقيدة والشريعة في الإسلام، وأثناء حياة محمد وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كانت السنة النبوية المتمثلة في أفعاله وأقواله هي المصدر الثاني الذي يجري البحث عنه، ليجد فيه العلماء والمفسرون إكمالاً للمصدر الأول..، وقد ظهرت إلى الوجود مجموعات من أقوال النبي وأفعاله، وأصبحت تعرف الآن في العلوم الإسلامية باسم محدد هو: (علم الحديث) "Hadiths"...، ولقد كان همُّ علماء الحديث الذين عملوا في مجالات جمع الأحاديث النبوية وتمحيصها، ينصبُّ أولاً وقبل كل شيء على التدقيق في ضبط هذه المعلومات الكثيرة الخاصة بكل حديث، أو حادثة في حياة محمد، وقد حوت هذه المجموعات أوسع المعلومات وأوثقها، ويعتبر صحيح البخاري بصورة عامة هو أكثر كتب الحديث صحة بعد القرآن"¹⁰⁸.

(¹⁰⁸) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 269، 270.

رد الشبهات منهج رباني نبوي.

رد الشبهات وإبطالها منهج دل عليه القرآن الكريم، والسنة النبوية. ففي القرآن تولى الله تعالى إبطالها في غير ما موضع منه، وفي السنة النبوية تولى النبي صلى الله عليه وسلم إبطالها في غير ما حديث. يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مطمئنا ومبشرا له في موضوع الشبهات التي يوردها عليه المشبهون من اليهود خاصة: { ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً } [الفرقان: 33]. قال: { ولا يأتونك بمثل } يعارضون به الحق ويدفعون به رسالتك، { إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً } أي: أنزلنا عليك قرآنا جامعا للحق في معانيه والوضوح والبيان التام في ألفاظه، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل ولا شبهة بوجه من الوجوه، وألفاظه وحدوده للأشياء أوضح ألفاظا وأحسن تفسيراً، مبين للمعاني بيانا كاملا.¹⁰⁹

ومن الشبهات التي أبطلها الله سبحانه شبهة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمي فكيف علم القرآن؟ والمقصود من هذه الشبهه هو إبطال القرآن، وإبطال نبوة النبي صلى الله عليه وسلم. والأمي إما أن يكون المراد به من لا يعرف القراءة والكتابة أخذاً من " الأمية "، وإما أن يكون المراد به من ليس من اليهود أخذاً من " الأمية " حسب المصطلح اليهودي الذي يطلقونه على من ليس من جنسهم.

فإذا تعاملنا مع هذه المقولة أن المراد بالأمي من لا يعرف القراءة والكتابة؛ فليس هذا مما يعاب به الرسول صلى الله عليه وسلم، بل لعله أن يكون تأكيداً ودليلاً قويا على أن ما نزل عليه من القرآن إنما هو وحي أوحى إليه من الله، لم يقرأه في كتاب، ولم ينقله عن أحد، ولا تعلمه من غيره. بهذا يكون الاتهام شهادة له لا عليه.

وقد رد القرآن على هذه المقولة ردا صريحا في قوله تعالى: { وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا () قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيمًا } [الفرقان: 5-6].

¹⁰⁹ (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي [1376هـ]. المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط/1. 1420هـ - 2000م. الناشر: مؤسسة الرسالة. بيروت. ص: 582.

وحسب النبي الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن يكون الكتاب الذي أنزل عليه معجزاً لمشركي العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة؛ بل ومتحدياً أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله. كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به، كما قال بعض كبارهم: " ليس من سجع الكهان ولا من الشعر ولا من قول البشر " ¹¹⁰.

ومن الشبهات التي أبطلها النبي صلى الله عليه وسلم شبهة أن القرآن ورد فيه في قصة مريم أم عيسى عليهما السلام: { يا أخت هارون }، وبناء على أن هارون أخو موسى عليهما السلام وبينهما وبين مريم وعيسى عليهما السلام قرون؟ والمقصود من هذه الشبهة أيضاً إبطال القرآن، وإبطال نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن المغيرة بن شعبة، قال: لما قدمت بجران سألتوني، فقالوا: إنكم تقرؤون { يا أخت هارون }، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك، فقال: ((إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)). ¹¹¹

وخلاصة جواب النبي صلى الله عليه وسلم أن هارون هذا وافق اسمه اسم نبي الله تعالى هارون أخي موسى عليهما السلام على طريقة تسمية الأبناء بأسماء الأنبياء والصالحين. فالاتفاق في الأسماء لا يلزم منه الاتفاق في المسميات.

ضوابط الرد على الشبهات حول الإسلام وحضارته وتاريخه.

بناء على ما سبق فإن الشبهات حول الإسلام وحضارته وتاريخه لا تُرد إلا من المتخصصين الراسخين في العلم العارفين بتاريخ الحضارات الأخرى وعلومها، والعلمين بمناهج تفكيرها، المتمكنين من المناظرة، الخبراء باللغات. وإذا تخلفت الشروط اللازمة في التصدي للشبهات حول الإسلام وحضارته وتاريخه فالأفضل الإمساك؛ لأنه أهون من الخوض بلا سلاح العلم والمعرفة... وكم من مناظرة كانت بين مسلم وغيره أظهرت الإسلام وحضارته وتاريخه بصورة مشوهة بسبب ضعف المسلم المناظر. فصار الحال كحال المحق الذي له محام ضعيف، والمبطل الذي له محام قوي.

¹¹⁰ انظر: شبهات المشككين. تأليف مجموعة من المؤلفين. موقع وزارة الأوقاف المصرية.

¹¹¹ رواه مسلم: 2135.

ومن المزالق في رد الشبهات حول الإسلام وحضارته وتاريخه؛ رد الانحراف بالانحراف، والباطل بالباطل. والخطأ بالخطأ، ولهذا أمثلة منها:

1/ رد الشبهات بتفسيرات خاطئة للقرآن الكريم والسنة النبوية.

كتفسير العدل الذي أمر الله تعالى به في قوله: { إن الله يأمر بالعدل } [النحل:90] بالمساواة المطلقة، وهذا غير صحيح، فالعدل وضع الشيء في موضعه، وإعطاء كل ذي حق حقه، وعدم الظلم. وهذا لا يتحقق دائما بالمساواة. كما في الميراث { للذكر مثل حظ الأنثيين } [النساء:11] فهذا عدل وليس مساواة.

2/ رد الشبهات بالأحاديث الضعيفة.

كحديث: ((اطلبوا العلم ولو بالصين))¹¹².

3/ رد الشبهات بإسقاط شيء من الدين.

كإسقاط الحدود الشرعية؛ كحد السرقة، والقتل، والزنا... إرضاء للمشبهين الذين يعتبرون الحدود الشرعية تخلفا وهمجية.

من أهم الشبهات حول الحضارة الإسلامية.

الشبهات التي سأذكرها هي نماذج فقط، ولا أستطيع ذكر الرد عليها لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات؛ بل هناك شبهات يتسع الرد عليها في كتاب مستقل، وسأكتفي بذكر أشهر الشبهات مع ردها، وباقي الشبهات أذكر عنوانها فقط مع الإحالة على موضع ردها في الهامش.

شبهة الإسلام انتشر بالسيف، ويحبذ العنف.¹¹³

من أشهر الشبهات التي تثار حول الإسلام وحضارته وتاريخه؛ أن الإسلام انتشر بالسيف، وحمل الناس بالقهر عليه، وأنه يجذب العنف.

¹¹² حديث باطل. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: 416.

¹¹³ شبهات المشككين رقم الشبهة: رقم الشبهة: 65.

نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي. عبد الرحمن علي الحجي. ط/3. 1399هـ-1979م. مكتبة الصحوة. ص/72.

نبي المسلمين، ودين الإسلام، والحضارة الإسلامية. محمد حسام الدين الخطيب. استفدت منه في نقل الشهادات، واستغنيت بالإحالة عليه عن ذكر مصادر هذه الشهادات. رابط الموضوع:

<https://www.alukah.net/sharia/0/142>

الرد: يكفي في الرد على هذه الشبهة قوله تعالى: { ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } [النحل:125].

إن الإسلام لم ينتشر بالسيف بل بالدعوة إلى الله عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة. وها هي أقوال بعض المنصفين من علماء الغرب ومفكريهم تؤكد على ذلك.

أ/ يقول الكاتب والباحث الفرنسي (ديسون): ((من الخطأ أن يصدق المرء ما يروج له البعض من أن السيف كان المبشر الأول في تقدم الإسلام وتبسطه، ذلك أن السبب الأول في انتشار الإسلام يعود إلى هذه الأخوة الدينية الفريدة، وإلى هذه الحياة الجديدة الاجتماعية التي دعا إليها ومكّن لها، ثم إلى هذه الحياة الشريفة الطاهرة التي راح يحيها محمد وخلفاؤه من بعده، والتي بلغت من العفة والتضحية حداً جعل الإسلام قوة عظيمة لا تغلب)).

ب/ وتقول البريطانية الباحثة في الأديان (كارين أرمسترونج) في كتابها (سيرة النبي محمد): ((إننا في الغرب بحاجة إلى أن نخلص أنفسنا من بعض أحقادنا القديمة، ولعل شخصاً مثل محمد يكون مناسباً للبدء، فقد كان رجلاً متدفق المشاعر.. وقد أسس ديناً وموروثاً حضارياً لم يكن السيف دعامة، برغم الأسطورة الغربية، وديناً اسمه الإسلام؛ ذلك اللفظ ذو الدلالة على السلام والوفاق)).

ج/ ويقول المستشرق الهولندي (دوزي) في مقدمة كتابه (ملحق وتكملة القواميس العربية): ((إن ظاهرة دين محمد تبدو لأول وهلة لغزاً غريباً! ولا سيما متى علمنا أن هذا الدين الجديد لم يفرض فرضاً على أحد)).

د/ ويقول (توماس كارليل) في كتابه (الأبطال): ((إن اتهام محمد بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته؛ سخف غير مفهوم!! إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس أو يستجيبوا لدعوته)).

هـ/ ويقول (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب): ((لقد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، ولم ينتشر الإسلام بالسيف، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل.. ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي

جزء منها قط)). ويقول: ((إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار الإسلام، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم)).

وأما الرد على شبهة أن الإسلام يجذ العنف والتي فيها تهمة للحضارة الإسلامية أنها لا تقوم على التسامح والرحمة فهو كالتالي:

الصورة المثلى التي رغب فيها الإسلام أن يكون عليها المسلمون وهي صفات عباد الرحمن، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: 63-75].

وهذه الصفات الكريمة هي النموذج الأعلى الذي يسعى كل مسلم للوصول إليه، وهي بكل وضوح مجانبة للعنف تماما.

وفي كيفية مواجهة المسيء يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: 96]. أي: ادفع -أيها الرسول- من يسيء إليك بالخصلة التي هي أحسن؛ بأن تصفح عنه، وتصبر على أذاه، نحن أعلم بما يصفون من الشرك والتكذيب، وبما يصفونك به مما لا يليق بك كالسحر والجنون.¹¹⁴

(¹¹⁴) المختصر في التفسير. مركز تفسير للدراسات القرآنية. ط/3. 1438هـ. السعودية. ص/348.

وفي وصايا لقمان التي جاءت في القرآن الكريم من تربية الوالد ولده على ما ينافي العنف والشدة، يقول الله تعالى: ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: 17-19].

وعن كيفية الدعوة بالتي هي أحسن للتي هي أقوم يقول الله تعالى لنبه صلى الله عليه وسلم: ﴿ اذْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125].

ويحذر الله نبيه صلى الله عليه وسلم من عاقبة العنف والقسوة والفظاظة فيقول له في القرآن الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: 159].

وفي كيفية الاقتصاص من المعتدي يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [النحل: 126].

وإن أردتم معاقبة عدوكم فعاقبوه بمثل ما فعل بكم دون زيادة، ولئن صبرتم عن معاقبتكم له عند القدرة عليه فإن ذلك خير للصابرين منكم من الانتصاف بمعاقبتهم.¹¹⁵

وفي القرآن الأمر باختيار الكلام الحسن، وأن لا يخاطبوا من كان على غير دينهم إلا بالكلام الحسن فيقول: ﴿ وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء: 53].

ويقول: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 46]. وأهل الكتاب الذين ذكرتهم الآية الكريمة هم اليهود والنصارى. وإذا كان دين الإسلام يرفض العنف في الكلمة؛ فكيف يرضاه بغير الكلمة؟!

(¹¹⁵) المختصر في التفسير. ص/281.

من تطبيقات النبي صلى الله عليه وسلم لهذه النصوص.

أ/ كان الصحابة رضي الله عنهم في بدء الدعوة الإسلامية يلقون من كفار مكة مختلف ألوان الاضطهاد والتعذيب.. فلم يأمرهم النبي بمواجهة العنف بالعنف، بل أمرهم بالهجرة من مكة، فصاروا يهاجرون إلى الحبشة فرارا بدينهم من العنف.

ب/ عقد النبي صلى الله عليه وسلم صلحا مع كفار مكة في السنة السادسة للهجرة سمي (صلح الحديبية) حقق فيه الكفار مطالبهم؛ برغم التفوق العسكري الواضح في جيش النبي فيما لو حاض معهم قتالاً، ولم يكن نصيب المسلمين في ذلك الصلح سوى تجنب العنف وعدم دخول مكة عن طريق القتال. وكان هذا بناء على اختيار النبي صلى الله عليه وسلم؛ الذي قال آنذاك قوله المشهورة: ((والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها))¹¹⁶. برغم المعارضة القوية من أصحاب النبي لهذا الصلح.

أقوال نخبة من علماء الغرب عن العنف الذي اتهم به الدين الإسلامي، ونبي المسلمين.

أ/ تقول البريطانية الباحثة في علم الأديان (كارين أرمسترونج) في مقدمتها لكتابها (سيرة النبي محمد): ((من الخطأ أن نظن أن الإسلام دين يتسم بالعنف أو بالتعصب في جوهره، على نحو ما يقول به البعض أحياناً، بل إن الإسلام دين عالمي، ولا يتصف بأي سمات عدوانية شرقية أو معادية للغرب)).

ب/ ويقول المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون) في كتابه (الدين والحياة): ((لقد كان محمد ذا أخلاق عالية، وحكمة ورقة قلب، ورأفة ورحمة، وصدق وأمانة)).

ج/ ويقول المستشرق الألماني (برتلي سانت هيلر) في كتابه (الشرقيون وعقائدهم): ((كان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية؛ هما: العدالة والرحمة)).

¹¹⁶ (رواه البخاري: 2731 عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم).

د/ ويقول المستشرق (إميل درمنغم) في كتابه (حياة محمد): ((إن محمداً قد أبدى في أغلب حياته اعتدالاً لافتاً للنظر، فقد برهن في انتصاره النهائي، على عظمة نفسية قل أن يوجد لها مثال في التاريخ؛ إذ أمر جنوده أن يعفوا عن الضعفاء والمسنين والأطفال والنساء، وحذرهم أن يهدموا البيوت أو يسلبوا التجار، أو أن يقطعوا الأشجار المثمرة، وأمرهم ألا يجردوا السيوف إلا في حال الضرورة القاهرة، بل رأيناه يؤنب بعض قواده ويصلح أخطاءهم إصلاحاً مادياً ويقول لهم: إن نفساً واحدة خير من أكثر الفتوح ثراءً)).

ويضيف (درمنغم) في حاشية ص 362: (قال روبرتسن في كتابه (تاريخ شارلكن): ((إن أتباع محمد وحدهم هم الذين جمعوا بين التسامح والدعوة إلى الإسلام)). وقال القسيس ميشون في كتابه (رحلة دينية إلى الشرق): ((إن من المؤسف حقاً أن علم المسلمون أمم النصرانية التسامح الديني الذي هو دعامة المحبة بين الأمم)).

هـ/ ويقول الفيلسوف الألماني الشهير (غوته) في كتابه (أخلاق المسلمين وعاداتهم): ((ولا شك أن التسامح الأكبر أمام اعتداء أصحاب الديانات الأخرى، وأمام إرهابات وتخريفات اللادينيين، التسامح بمعناه الإلهي، غرسه رسول الإسلام في نفوس المسلمين، فقد كان محمد التسامح الأكبر، ولم يتخذ رسول الإسلام موقفاً صعباً ضد كل الذين كانوا يعتدون عليه بالسب أو بمد الأيدي أو بعرقلة الطريق وما شابه ذلك، فقد كان متسامحاً؛ فتبعه أصحابه وتبعه المسلمون، وكانت وما زالت صفة التسامح هي إحدى المميزات والسمات الراقية للدين الإسلامي، وللحق أقول: إن تسامح المسلم ليس من ضعف؛ ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه، وتمسكه بعقيدته)).

و/ يقول (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب): ((والإسلام من أعظم الديانات تهديماً للنفوس، وحملاً على العدل والإحسان والتسامح)).

ز/ أما الباحث السويسري (جناد أقنبرت) فقد عكس الأمر وصرح بأن أعداء محمد هم المتعصبون ضده؛ إذ قال في كتابه (محمد والإسلام): ((كلما ازداد الباحث تنقيحاً في الحقائق التاريخية الوثيقة المصادر؛ فيما يخص السمات المحمدية، ازداد احتقاراً لأعداء محمد الذين أشرعوا

أسنة الطعن في محمد قبل أن يعرفوه، ونسبوا إليه ما لا يجوز أن ينسب إلى رجل حقير، فضلاً عن رجل كمحمد؛ الذي يحدثنا التاريخ أنه رجل عظيم)).

شبهة أن الإسلام يحارب العلم.¹¹⁷

أول كلمة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم هي كلمة (اقرأ)؛ والقراءة هي باب العلم الذي لا يمكن لطالب علم ولا عالم إلا أن يلجحه كل يوم؛ بل كل ساعة؛ بل كل لحظة.

وبعد تلك الكلمة كم من آيات نزلت تحت المسلمين على طلب العلم من مثل قوله تعالى في تفضيل العلماء على غيرهم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَدْرُسُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:9]. ومن مثل قوله تعالى في تخصيص فهم القرآن الكريم بالعلماء دون غيرهم: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:97]، ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:32]، ﴿وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:11]، ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:5]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:52]، ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:3]، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّئَلَّا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:43]، وغيرها كثير.. حتى ليحيل للمرء أن دين الإسلام هو دين العلماء!

وليس هذا فحسب بل إن القرآن الكريم يجعل فئة العلماء في المجتمع هي الفئة التي تحشى الله وتعظمه حق الخشية والتعظيم لكثرة تفكرها ودراستها لظواهر وأسرار هذا الكون من حولها، فتقول الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:28]، ذلك لأن العالم لا بد من أن يكون صاحب عقل، وصاحب العقل هو الذي يدسم التفكير فيما حوله فيقبل الحقائق ويرفض

¹¹⁷ انظر: نبي المسلمين، ودين الإسلام، والحضارة الإسلامية. محمد حسام الدين الخطيب. رابط الموضوع:

<https://www.alukah.net/sharia/0/142>

أ. خصائص الحضارتين الإسلامية والغربية. دراسة في الحوار الحضاري. أطروحة تقدم بها رعد سليمان حسين الجبوري. إلى مجلس كلية أصول الدين/ الجامعة الإسلامية. وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة أصول الدين/ تخصص فكر إسلامي. 1427هـ-2007م. ص/80-81. 82-84.

ب شبهات المشككين، مجموعة من المؤلفين. المصدر: موقع وزارة الأوقاف المصرية. رقم الشبهة: 68.

الأباطيل والشعوذات، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران: 190].

وتطبيقاً لهذه الدعوات القرآنية لطلب العلم فإن النبي صلى الله عليه وسلم جعل فداء أسراه من
كفار قريش في معركة بدر، ممن يحسن القراءة والكتابة منهم، أن يعلم أولاد الأنصار الكتابة؛ ثم
يطلق سراحه.

إن هذا الدين لا يحارب العلم وإنما يحارب الجهل.

أقوال من درس التاريخ العلمي للمسلمين؛ وعرفه حق المعرفة، من نخبة علماء الغرب.

أ/ قول الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم):
(لا بد قبل عقد المواجهة بين الوحي الإسلامي والعلم؛ من إعطاء صورة عن دين ساءت معرفته
في بلادنا. إن الأحكام الضالة كل الضلال، التي صدرت في الغرب بحق الإسلام؛ كانت وليدة
الجهل أحياناً، أو نتيجة التهجم التلقائي. وأفضح هذه الضلالات انتشاراً هي المتعلقة بالوقائع؛ فإذا
كان بالإمكان عذر الأخطاء الناتجة عن سوء التقدير؛ فلا سبيل إلى هذا مع ما يتناقض مع
الحقيقة.. وإنه لما يخيف؛ أن نقرأ في المؤلفات الرصينة؛ الصادرة عن كتّاب من الدرجة الأولى في
الاختصاص؛ مناقضات للحقيقة في غاية الجلاء!.. فإصدار مخالفات للحقيقة من هذا النوع
يسهم في إعطاء صورة باطلة عن القرآن والإسلام)).

ويقول أيضاً في كتابه هذا: ((ونحن نعلم أن الإسلام ينظر إلى العلم والدين كتوأمين، وأن
تهذيب العلم كان جزءاً من التوجيهات الدينية منذ البداية، وأن تطبيق هذه القاعدة أدى إلى
التقدم العلمي العجيب في عصر الحضارة الإسلامية العظمى، التي استفاد منها الغرب قبل
نخضته)).

ب/ وتقول المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها (شمس الله تسطع على
الغرب): ((نادى النبي بالطموح إلى المعرفة والسعي إلى العثور عليها، وقد أدى ذلك إلى اندفاع
العرب بأسرهم إلى المدارس يعلمون ويتعلمون، بينما كان الغريون يتباهون بجهلهم للقراءة
والكتابة)).

ج/ ويقول (دانييل بريفولت) في كتابه (نشأة الإنسانية): ((ومنذ عام /700/م بدأت إشراقة الحضارة العربية الإسلامية تمتد من شرقي المتوسط إلى بلاد فارس شرقاً وإسبانيا غرباً، فأعيد اكتشاف قسم كبير من العلم القديم، وسجلت اكتشافات جديدة في الرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم.. وفي هذا المجال كما في غيره؛ كان العرب معلمين لأوربة، فأسهموا في نهضة العلوم على هذه القارة)).

د/ ويقول المستشرق الأمريكي (إدوارد رمسي): ((لقد منح الإسلام المدنية والحضارة قوة جديدة وشجع العالم على درس العلوم باتساعٍ متناهٍ، وهكذا خرج إلى الدنيا فلاسفة وخطباء وأطباء ومؤرخون يفخر بهم الإسلام أمثال: أبي عثمان - الجاحظ - والبيروني والطبري وابن سينا وابن رشد والفارابي وابن باجه والغزالي وغيرهم.. والمسلمون بلا نزاع هم مخترعو علم الكيمياء ومؤسسوه، أما علم الطب والصيدلة فقد حسنوهما تحسناً عظيماً، وبواسطة المسلمين تقدم علم الفلك سريعاً حتى الطيران، وهم مخترعو علم الجبر ومكتشفو علم الطيران)).

هـ/ ويقول المستشرق (روم لاندو) في كتابه (الإسلام والغرب): ((حين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم؛ يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحزوه خلال مئتي سنة، وعمق ذلك التقدم؛ أمراً يدعو إلى الدهول حقاً! ذلك بأن علينا أن نتذكر أيضاً أن النصرانية احتاجت إلى نحو ألف وخمسمئة سنة لكي تنشئ ما يمكن أن يدعى حضارة نصرانية، وفي الإسلام لم يولَّ كل من العلم والدين ظهره للآخر؛ بل كان الدين باعثاً على العلم)).

و/ ويقول المؤرخ العلامة (سيديو): ((لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته أوربة من تحجر العقل وشل التفكير، وجذب الروح، ومحاربة العلم والعلماء حيث يذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أحرقوا أحياء! ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر، بل كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة ومنح مخالفه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام)).

ومنذ حوالي ألف عام، عندما كان العلماء في أوربة يحرقون أحياء كما قال سيديو؛ كان العالم الأندلسي المسلم (ابن حزم) يعلن في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عن كروية الأرض منطلقاً من القرآن الكريم ومن التنظيم المطرد لمواقيت الصلاة في محيط الأرض.

وليس هذا هو الاكتشاف الوحيد الذي نقله الغربيون عن المسلمين ونسبوه لأنفسهم، يؤكد المؤرخ العلامة (سيديو) في كتابه (تاريخ العرب العام) إذ قال: ((ونحن حين نلخص ما تمّ على يد العرب من تقدم في العلوم الصحيحة، نرى سبقهم إلى كثير من الاكتشافات التي يعزى فخر أكثرها إلى علماء أوربة في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر)).

كيف كان الغربيون ينظرون إلى كروية الأرض بعد اكتشاف المسلمين لها بقرون؟ تقول المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها (شمس الله تسطع على الغرب): ((اتسعت الهوة بين الحضارة العربية الشاخطة، والمعرفة السطحية في أوربة التي كانت ترى أن من الكفر والضلال القول بأن الأرض كروية؛ فمعلم الكنيسة (لاكتانتوس) يتساءل مستنكراً: أيعقل أن يُجنَّ الناس إلى هذا الحد فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض، وأن أقدام الناس تعلق رؤوسهم؟!)).

ز/ تقول (هونكه) أيضاً: ((إن روجر بيكون أو غاليلو أو دافنشي ليسوا هم الذين أسسوا البحث العلمي.. إنما السابقون في هذا المضمار كانوا من العرب الذين لجؤوا- بعكس زملائهم النصارى- في بحثهم إلى العقل والملاحظة والتحقيق والبحث المستقيم، لقد قدم المسلمون أثمناً هدية؛ وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم، وإن كل مستشفى وكل مركز علمي في أيامنا هذه إنما هي في حقيقة الأمر نُصْبُ تذكارية للعبقريّة العربية.. وقد بقي الطب الغربي قرونًا عديدة نسخة ممسوخة عن الطب العربي، وعلى الرغم من إحراق كتب ابن سينا في مدينة بازل بحركة نصرانية عدائية؛ فإن كتب التراث العربي لم تختف من رفوف المكتبات وجيوب الأطباء، بل ظلت محفوظة يسرق منها السارقون ما شاء لهم أن يسرقوا)).

ح/ يقول المستشرق العلامة (جوزيف شاخنت) في مقدمته لكتاب (تراث الإسلام) الذي أشرف على تأليفه: ((وكثيراً ما نجد كتاباً - مسلمين - برزوا في أكثر من ميدان علمي واحد، فلقد كان الطب والعلوم والفلسفة معارف متلازمة بعضها مع بعض، وكذلك كان علم الكلام والشريعة يشكّلان زمرة واحدة، ولم يخل الأمر من أشخاص كانوا يجمعون بين جميع هذه الفروع من

أمثال ابن النفيس [1288م] الذي اكتشف عن طريق الاستدلال النظري الدورة الدموية الصغرى عن طريق التجربة)).

ط/ ويقول (غوستاف لوبون) في مقدمته لكتابه (حضارة العرب): ((وكلما أمعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة)). ثم يقول: ((والإسلام من أكثر الديانات ملاءمة لاكتشاف العلم)).

ويقول: ((ويعزى إلى يكون على العموم أنه أول من أقام التجربة والملاحظة اللتين هما أساس المناهج العلمية الحديثة؛ مقام الأستاذ. ولكنه يجب أن نعترف قبل كل شيء بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم)). ثم يقول: ((إن أوربة مدينة للعرب بحضارتها)).

ي/ ويقول العلامة (دانييل بريفولت) في كتابه (نشأة الإنسانية): ((إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف مذهشة، ونظريات مبتكرة، بل إنه مدين بوجوده ذاته.. ولم يكن سيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربة النصرانية، وهو لم يملّ قط من التصريح بأن اللغة العربية وعلوم العرب هما الطريق الوحيدة لمعرفة الحق)).

ك/ ويقول الكاتب الفرنسي الشهير (موريس بوكاي) في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم): ((وينبغي أن نذكر أنه ما بين القرن الثامن والثاني عشر الميلادي، فترة عظمة الإسلام، حيث كانت التغيرات العلمية مرفوضة في بلادنا النصرانية؛ كانت كميات معتبرة من الأبحاث والاكتشافات قد تحققت في الجامعات الإسلامية. هناك وفي ذلك العصر؛ كنا نرى الوسائل الفائقة في التثقيف، فكانت مكتبة الخليفة في قرطبة تحتوي على [400.000] كتاب، وكان ابن رشد يعلم فيها، وينقل فيها العلم اليوناني والهندي والفارسي، ولهذا كان الناس يذهبون إليها من مختلف البلدان الأوربية للدراسة؛ كما يذهبون في أيامنا هذه لإتمام بعض الدراسات في الولايات المتحدة..)) إلى أن يقول: ((كان الإسلام منذ القديم موضوع (الذم) في بلادنا. إن كل غربي حصل بعض المعارف المعمقة عن الإسلام؛ يدرك إلى أي مدى قد شوه تاريخه وعقيدته وأهدافه)).

ل/ وتقول (د. لويجي رينالدي): ((لما شعرنا بالحاجة إلى دفع الجهل الذي كان يثقل كاهلنا؛ تقدمنا إلى العرب، ومددنا إليهم أيدينا، لأنهم كانوا الأساتذة الوحيدين في العالم)).

م/ أما المؤرخ الفرنسي العلامة (سيديو) فيقول في كتابه (تاريخ العرب العام): ((قال همبولد: .. والعرب هم الذين أوجدوا الصيدلية الكيميائية.. وأدت الصيدلة ومادة الطب اللتان يقوم عليهما فن الشفاء؛ إلى دراسة علم النبات والكيمياء في وقت واحد)).

ويقول: ((اتفق للعلوم الطبيعية عند العرب مثل ما اتفق للعلوم الرياضية من الرقي، ويرى همبولد وجوب عدّ العرب مؤسسين حقيقيين للعلوم الطبيعية بالمعنى الحديث)).

وبعد أن يستعرض (سيديو) أغلب وجوه الحضارة الإسلامية ينتهي إلى أن يقول: ((وهكذا تجلّى تأثير العرب في جميع فروع الحضارة الأوربية الحديثة)).

فبعد هذه الشهادات الإجمالية عن مشاركة الحضارة الإسلامية في ميدان العلم؛ فلا بأس بهذه الشهادات التفصيلية التي تزيد الأمر تأكيداً.

ن/ يقول (أتبين دينيه) في كتابه (محمد رسول الله): ((أما العلامة الشهير (همبولد) فيذكر أن ما قام على التجربة والملاحظة هو أرفع درجة في العلوم، ويقول: ((إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريباً)).

ويقول: ((وكانت دراسة العلوم الرياضية من الدراسات الذائعة لديهم، وقد تقدم علم الجبر بفضلهم حتى قيل إنهم مخترعوه. ولقد كان لهم أيضاً قصب السبق في تطبيق الجبر على الهندسة، وهم الذين أدخلوا التماس في حساب المثلثات)).

ويقول: ((وكان علم الفلك يدرس بحماس في مدارس بغداد ودمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة وغيرها.. تلك المدارس التي وصلت إلى اكتشافات عديدة يمكن إيجازها في القائمة التالية:

- 1 - إدخال خطوط التماس في الحسابات الفلكية.
- 2 - وضع جداول لحركة الكواكب.
- 3 - تحديد سمت الشمس تحديداً دقيقاً وتدرجه وتقدير تقدم الاعتدالين تقديراً صحيحاً.
- 4 - أول تحديد صحيح لمدة سنة.
- 5 - ثم إننا مدينون لهم أيضاً بإثبات ما في أكبر خط عرض للقمر من ضروب عدم الانتظام.
- 6 - استكشاف عدم التساوي القمري الثالث؛ المعبر عنه اليوم بالتغير)).

ثم يقول: ((ومن الناحية العلمية كانت لهم هذه التحديدات الفلكية الصادقة التي هي أول أساس للخرائط. كما عملوا على تصحيح الأخطاء الفاحشة التي وقع فيها الإغريق)).
ثم يقول: ((أما من ناحية كشف بقاع العالم المجهولة فقد نشروا رسائل في الرحلات تعرف الناس بأقطار العالم المختلفة، التي كانت شبه مجهولة من قبل، والتي لم يسبق للأوروبيين ارتيادها.. وإننا نجد في خريطة من خرائط الإدريسي ترجع إلى عام [1160م] منابع النيل بين البحيرات الاستوائية الكبرى مرسوماً رسماً دقيقاً، وهي تلك المنابع التي لم يكشفها الأوروبيون إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر)).

ثم يقول: ((وسجل مكتشفاتهم في ميدان العلوم الطبيعية أعظم من ذلك. والبيان التالي يوضح أهمية تلك المكتشفات:

- 1 - معلومات عالية في نظريات علم الطبيعة، وخاصة فيما يتعلق بالمسائل الضوئية.
 - 2 - اختراع أجهزة آلية من أبداع ما يكون.
 - 3 - اكتشاف أعلق الأجسام بأصل علم الكيمياء؛ مثل الكحول والحامض الكبريتي، وأهم العمليات الأساسية في هذا العلم؛ كالتقطير.
 - 4 - تطبيق الكيمياء في ميداني الصيدلة والصناعات، وبخاصة فيما يتعلق باستخراج المعادن وصناعة الفولاذ، والصياغة وغير ذلك..
 - 5 - صناعة الورق من الخرق، والاستعاضة به عن رقّ الغزال وورق البردي والحزير الصيني.
 - 6 - ومن المحتمل أنهم أول من استخدم البوصلة في الملاحة، ومن المحقق أنهم أدخلوا هذا الاختراع الأساسي إلى أوربة.
 - 7 - وأخيراً؛ فهم قد اكتشفوا الأسلحة النارية؛ ففي عام [1205م] استخدم الأمير يعقوب المدفعية في حصار مدينة المهديّة- في المغرب -.
- وفي عام [1273م] استخدمها السلطان أبو يوسف في حصار مدينة سجلماسة- في المغرب- وقد حضر (كونت دربي) و(كونت سالسبري) الإنجليزيان حصار مدينة الجزيرة- في الأندلس- التي دافع عنها العرب بالمدافع، فشاهدنا نتائج استخدام البارود، فنقلنا ذلك الاختراع إلى بلادها، فاستخدمه الإنكليز في (معركة كريس) بعد ذلك بأربع سنوات)).

ثم يقول: "أما فيما يتعلق بالطب، فقد استوفى العرب أولاً كتب الإغريق، ثم ساروا بهذا الفن خطوات هامة إلى الأمام.. وتكاد تكون سائر المعارف الطبية في أوربة خلال عصر النهضة مأخوذة عن العرب. وأهم ما حققه العرب في ميدان الطب يتعلق بالجراحة ووصف الأمراض، وبالأدوية والصيدلة. وقد ابتكروا وسائل علاجية متعددة؛ ظهر بعضها في العالم الطبي حديثاً بعد أن قضت عليها قرون من النسيان؛ مثال ذلك استخدام الماء البارد لطب الحمى التيفودية.. والطب مدين لهم بكثير من المواد الطبية مثل: خيار الشنبر - السنن المكبي - الراوند - التمر الهندي - الكافور - الكحول - القلي، وغير ذلك.. وإننا مدينون لهم بكثير من المستحضرات المستعملة اليوم مثل: الأشربة وصنوف اللعوق والزروق والمراهم والأدهان والماء المقطر وغير ذلك..)).

ثم يقول: "كذلك الجراحة؛ كان للعرب الفضل في تقدمها الأول؛ فكانت مؤلفاتهم هي المراجع الأساسية التي تدرس بالمعاهد الطبية إلى عهد قريب جداً. لقد كانوا - في القرن الحادي عشر الميلادي - يعرفون علاج الماء الذي ينصب في العين؛ بالتحويل أو استخراج البلورية، ويعرفون كيفية تفتيت الحصا، وعلاج النزيف بصب الماء البارد.

كما كانت لهم خبرة باستخدام الكاويات، والأحزمة، والكي بالنار لتطهير الجراح. وإن التخدير الذي يظن الناس أنه اكتشاف حديث؛ يبدو أن العرب لم يجهلوه، فقد كانوا يوصون باستعمال نبات الزؤان - قبل العمليات المؤلمة - لتنويم المريض حتى يفقد الوعي والإحساس.. وكانت لهم ثقة عظيمة بالوسائل الصحية لعلاج الأمراض، وكانوا يعتمدون كثيراً على القوى الطبيعية، والطب النظري الذي يبدو اليوم وكأنه الكلمة الأخيرة للعلم الحديث، يوافق هذه الفكرة في استدلاله..)).

ويضاف إلى ما سبق مشاركة الحضارة الإسلامية في قوانين أوربة ذاتها.

س/ يقول المؤرخ الإنجليزي (ويلز) في كتابه (ملاح تاريخ الإنسانية): ((إن أوربة مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية)).

ع/ أما المؤرخ الفرنسي (سيديو) فيؤكد أن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك هو (شرح الدردير على متن خليل).

وما ذكرته من رد مُبَسَّط عن هاتين الشبهتين وهما شبهة أن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه ضد العلم يكفي ويفي لإبطال الشبهات الأخرى مما ذكرت ومما لم أذكر.

شبهات أخرى.

بقيت شبهات أخرى أذكرها وأحيل على مصادر ردها وإبطالها:

1/ شبهة أن الحضارة الإسلامية اقتبست من الحضارة اليونانية.

2/ شبهة أن الحضارة الإسلامية كانت ساعي بريد بين الحضارة اليونانية والحضارة الأوربية.

أي: كانت كخزان حفظ العلوم الإغريقية واليونانية إبان العصور الوسطى، حين كانت أوربا تسبح في بحر لحي من الظلمات، وعندما جاءت النهضة الأوربية أخذت أوربا العلوم المحفوظة في هذا الخزان الإسلامي وبدأت انطلاقها العلمية مجدداً.

3/ شبهة أن الشريعة الإسلامية مستمدة من القانون الروماني.¹¹⁸

(¹¹⁸) الرد على الشبهات 1-3:

أ. أثر العلماء المسلمين في الحضرة الأوربية. أحمد علي الملا. ط/2. 1981/1404. دار الفكر دمشق. 82. مدى تأثير الشريعة الإسلامية بالفقه الروماني... مناقشة المستشرقين... أوجه الخلاف... مهم.

ب. منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. نصر الدين القاضي. ص/250. تنفيذ شبهة حول الشريعة الإسلامية كإقتباس التشريع الإسلامي من القانون الروماني. ج. دور الحضارة الإسلامية في نفضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل. ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق. ص/13-16، 31.

ومما جاء فيه: الحضارة بساط نسجته وتنسجه أيد كثيرة كلها تمبه طاقاتها وكلها تستحق الثناء والتقدير إن ازدياد معلوماتنا عن حضارتنا القديمة في الشرق تثبت أنه ليس هناك معجزة يونانية مطلقاً لأن الحضارة اليونانية اقتباس وامتداد للحضارة العربية القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد الشام واقتبس اليونانيون من الحضارة العربية القديمة الكثير والكثير من مختلف العلوم إنما هي بضاعتنا زدت إلينا... أما الحضارة الإسلامية فقد أخذت من الحضارات السابقة ولكنها لم تنقلها كما هي. إن المسلمين أعادوا التفكير والنظر تماماً في العلوم اليونانية وفي غيرها فما ورثه المسلمون إلى أوربا يختلف كثيراً عما

- 4/ إن جمهرة المترجمين كانوا من الأجانب غير المسلمين، بل ومن غير العرب، فإذا صح أن يكون لأحد فضل في حركة نقل العلوم فيلزم هؤلاء يرجع الفضل.¹¹⁹
- 5/ قيمة الحضارة الإسلامية ليست شيئاً إذا قيست بروائع هذه الحضارة الحديثة واختراعاتها وفتوحاتها في آفاق العلم الحديث.¹²⁰
- 6/ ما أسباب تفرق المسلمين رغم دعوة الإسلام للوحدة؟¹²¹
- 7/ تحريم زواج المسلمة بغير المسلم يُعد نزعة عنصرية؟¹²²
- 8/ ظاهرة الرق.¹²³

ورثوه من سابقهم. قال ويليم أوسلر: "لئن أشعل العرب سراجهم من قناديل اليونان، فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا شعلة وهاجة استضاء بنورها أهل الأرض".

(¹¹⁹) الرد عليها: مقرر الحضارة العربية الإسلامية. عمار محمد النهار. الجامعة السورية الافتراضية. كلية الاقتصاد. عمار النهار ص/163. ومما جاء فيه: الرد على هذه المقولة يتلخص في أن الفضل مشترك، والسبب الذي من أجله كانت غالبية المترجمين من غير العرب هو أن الترجمة تحتاج إلى معرفة عدد من اللغات، ولم يكن هذا متوافراً للعرب، ولكن ذلك لا يكفي، فلا بد - لكي يقوم هؤلاء النقلة من غير المسلمين والعرب بمهمتهم - لا بد من وجود من يحرص على إتمام هذه المهمة ويتكفل بنفقاتها، وقد كان قادة العرب على استعداد للبدل وحرص على تحقيق النهضة العلمية التي يرجع إليهم - لا إلى سواهم - فضل بدئها والاستمرار فيها ونجاحها.

(¹²⁰) الرد عليها: الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل. علي بن نايف الشحود. ص/10-11.

(¹²¹) الرد عليها: شبهات المشككين. رقم الشبهة: 142.

(¹²²) الرد عليها: شبهات المشككين. رقم الشبهة: 138.

(¹²³) الرد عليها: شبهات المشككين. رقم الشبهة: 136.